التخلق بأخلاق الله
دراسة عقدية

د. محمد بن ناصر السحيباني
قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة – كلية أصول الدين
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

التخلق بأخلاق الله "دراسة عقدية"

د. محمد بن ناصر السحيباني
قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة – كلية أصول الدين
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

تاريخ تقديم البحث: ٢٠/ ٣/ ١٤٤٢ هـ   تاريخ قبول البحث: ١٤/ ٤/ ١٤٤٢ هـ

ملخص البحث:

هذا البحث دراسة عقدية لمقالة "التخلق بأخلاق الله " وفق النصوص الشرعية وفهم علماء السلف لها.

ومن أبرز محاور هذا البحث ما يلي:

١. بيان أن التعبير عن تحقيق مقتضى الأسماء والصفات، بأربعة عبارات هي: التشبه، والتخلق، والدعاء، والتعبد.
٢. حكم إطلاق لفظ: التشبه والتخلق
٣. تفصيل القول حول إطلاق لفظ التخلق وذلك من خلال: بيان لفظ "التخلق" و"الخلق" في اللغة والاصطلاح. ورودهما في القرآن الكريم والسنة النبوية.
٤. بيان أن ما ورد في السنة من وصف صفات الله عز وجل بالأخلاق هي روايات ضعيفة لا تثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم.
٥. حكم إطلاق لفظ " الأخلاق" على صفات الله عز وجل، وأن في ذلك اتجاهين هما: الجواز والمنع، وترجيح المنع وذكر أوجه نقد العبارة.
٦. بيان وجه صحة لفظ كل من: الدعاء والتعبد، وأيهما أولى بالتقديم.
٧. وإيضاح مراتب التعبُّد بأسماء الله وصفاته وآثاره، وأقسام الصفات بالنسبة لتعبد العبد بها.
٨. وختم البحث بخاتمة فيه أهم النتائج التي توصل إليها الباحث.

الكلمات المفتاحية: التخلق الأخلاق التعبد بأسماء الله إحصاء أسماء الله الدعاء بأسماء الله مقتضيات الأسماء والصفات.

the article "Creation of the ethics of God", a nodal study
Researcher name

Dr. Muhammad bin Nasser Al-Suhaibani
Belief and Contemporary Doctrines.
Fundamentals of Religion.
Imam Muhammad bin Saud Islamic University

Abstract :
This research is a doctrinal study of the article “Creation with the ethics of God” according to the Sharia texts and the understanding of the scholars of the early generations.
Among the most prominent axes of this research are the following:
١A statement expresses the fulfillment of the requirements of the names and attributes; in four terms: imitation, creation, supplication, and worship.
٢ .Ruling on pronouncing the expression: imitation and morphology
٣ .A detailed statement about launching the word “creationism” through a statement of the term “creation” and “creation” in language and convention appears in the Holy Quran and the Sunnah.
٤ .A statement that what was mentioned in the Sunnah describing the attributes of God Almighty with morals are weak narratives that are not proven on the authority of the Prophet, may God bless him and grant him peace.
٥ .Ruling on releasing the term "morals" to the attributes of God Almighty. There are two directions in that: permissibility and prohibition; and the preponderance of prevention and mentioning aspects of criticism of the phrase.
٦ .An indication of the correctness of the pronunciation of each of: supplication and worship, and which of them is more appropriate to present
٧ .Clarification of the ranks of devotion in the names; attributes, and effects of God, and the categories of attributes in relation to the worship of the servant with them
٨ .The research was concluded with a conclusion with the most important findings of the researcher

key words: Morphogenesis / Creation Morals Worship in the names of God Statistics of Allah's names Supplication with the names of God Requirements of nouns and adjectives

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ومن سار على هديه إلى يوم الدين وسلم تسليما كثيرا، وبعد:

فإن أشرف ما تقضى فيه الأوقات الاشتغال بما يصل المرء بربه ويقربه إليه، ويوصله إلى محبته ورضاه، ويفوز بجنته وينجو من ناره. وذلك بعبادته وتألهه والخضوع له سبحانه.

وإن عبادة الله عز وجل هي الغاية من خلقنا،وهي الحكمة من إرسال الله عز وجل رسله وإنزال كتبه، ومن أعظم عبادة الله عز وجل تعبده بأسمائه وصفاته، بأن يسأل المرء الله بها ويدعوه بها، ويثني عليه ويمدحه بها، وهذا مما يحقق محبة الله لعبده فالله سبحانه يحب أسماءه وصفاته، ويُحب المتعبِّدين له بها، ويحبُّ مَن يسأله ويدعوه بها، ويحبُّ مَن يعرفها ويعقلها، ويُثْني عليه بها، ويَحمده ويمدحه بها.

بل لا يمكن الوصول لعبادة الله إلا عن طريق معرفته سبحانه بأسمائه وصفاته وتعبده بها.

وهذا التعبد والدعاء بأسماء الله وصفاته جاء منصوصا عليه بالنصوص الشرعية، بيد أنه لما ظهر بعض المتكلمين وظهر أيضا أثر فلاسفة اليونان وفلسفتهم بعد ترجمة كتبهم وثقافتهم في هذه الأمة وخاصة لدى بعض المتكلمين في ألفاظهم وآرائهم، بدأ انتشار وتداول بعض الألفاظ غير الشرعية فيما يتعلق بأسماء الله وصفاته التي أصبحت مدخلا للانحراف العقدي والضلال في باب

الأسماء والصفات وهو الوقوع في تشبيه المخلوق بالخالق، ومن جملة تلك الألفاظ لفظ " التخلق " وإطلاق لفظ " الأخلاق " على صفات الله وأسمائه، وتفسير بعض النصوص الشرعية بهذا التفسير المحدث، وتم تداول مقالة " التخلق بأخلاق الله " لدى بعض المهتمين والكتاب والمؤلفين.

لذا رأيت أن هناك حاجة لتأصيل هذه المقالة بدراستها دراسة عقدية وفق النصوص الشرعية وفهم علماء السلف لها.

وقد سرت في هذه الدراسة وفق الآتي:

حرصت أن أجمع كل ما وقفت عليه حول هذه المقالة، سواء المجيزين لذلك أو المانعين له، من أقوالهم وأدلتهم، ودراستها دراسة علمية وفق ما تدل عليه النصوص الشرعية، وذلك من خلال المنهج الاستقرائي التحليلي النقدي.

كما اتبعت في هذه الدراسة إجراءات البحث العلمي من توثيق النصوص من مصادرها الرئيسة، وعزو الآيات إلى مواضعها في القرآن الكريم، وتخريج الأحاديث وبيان حكمها وفق ما قاله علماء الحديث، كما قمت بترجمة الأعلام الذين استشهدت بأقوالهم، وبينت غريب الألفاظ الواردة في البحث. وختمت الدراسة بخاتمة ذكرت فيها أبرز النتائج التي توصلت إليها من خلال هذا الدراسة، ووضعت فهارس للآيات، والأحاديث، والأعلام المترجم لهم، والمصادر، والموضوعات.

وجاءت هذه الدراسة بعنوان: (مقالة:"التخلق بأخلاق الله" — دراسة عقدية)، وذلك وفق الخطة التالية:

خطة البحث: وتشتمل على مقدمة وتمهيد وثلاثة مباحث وخاتمة وفهارس، وهي على النحو التالي:

المقدمة وفيها الأهمية والمنهج وخطة البحث.

تمهيد: أهمية العلم بأسماء الله تعالى وصفاته والإيمان بها ومنزلته وفضله.

المبحث الأول: التعبير عن تحقيق مقتضى الأسماء والصفات، وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: معنى " أحصاها ".

المطلب الثاني: بيان وجه بطلان لفظ كل من: التشبه والتخلق، وفيه مسألتان:

المسألة الأولى: وجه بطلان لفظ " التشبه ".

المسألة الثانية وجه بطلان لفظ "التخلق"، وفيها ستة فروع:

الفرع الأول: التعريف بلفظ "التخلق" و"الأخلاق" في اللغة والاصطلاح.

الفرع الثاني: ورود لفظ الخلق والتخلق في القرآن الكريم والسنة النبوية، ومعناه فيهما.

الفرع الثالث: ما ورد في السنة من وصف صفات الله عز وجل بالأخلاق.

الفرع الرابع: صحة إطلاق لفظ " الأخلاق على صفات الله عز وجل.

الفرع الخامس: صحة إطلاق لفظ " التخلق "، وفيها ثلاثة أمور:

الأمر الأول: الاتجاه الأول: جواز التعبير به وعدم الامتناع عنه.

الأمر الثاني: الاتجاه الثاني: رفض ذلك ومنعه والتحذير من التعبير به.

الأمر الثالث: نقد عبارة: "التخلق بأخلاق الله".

الفرع السادس: صلة هذا اللفظ بتشبه المخلوق بصفات الخالق.

المطلب الثالث: بيان وجه صحة لفظ كل من: الدعاء والتعبد، وفيه مسألتان:

المسألة الأولى: تقديم لفظ الدعاء.

المسألة الثانية تقديم لفظ التعبد.

المبحث الثاني: مراتب التعبُّد بأسماء الله وصفاته وآثاره، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: مراتب التعبد بأسماء الله وصفاته.

المطلب الثاني: آثار التعبد بالأسماء والصفات.

المبحث الثالث: أقسام الصفات بالنسبة لتعبد العبد بها.

الخاتمة.

الفهارس.

وأسأل الله عز وجل أن يبارك في هذا الجهد وأن ينفع به، فما كان فيه من خير وصواب فهو من الله وحده، وما كان فيه من تقصير وخلل فمني ومن الشيطان، وأستغفر الله عن كل خلل وتقصير.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

تمهيد: أهمية العلم بأسماء الله تعالى وصفاته والإيمان بها ومنزلته وفضله

إن العلم بأسماء الله وصفاته ومعرفتها وتدبر معانيها له أهمية كبرى ومنزلة عظمى، ويمكن أن تتضح وتتجلى تلك الأهمية والمنزلة من خلال الأوجه التالية:

١. أن معرفة الله سبحانه وتعالى المقتضية عبادته هي الأصل، ومعرفته سبحانه إنما تكون بمعرفة أسمائه وصفاته، فمعرفة الأسماء والصفات هي الطريق لمعرفة الله، لذا فحاجة العبد إلى معرفة أسماء الله وصفاته من أعظم الحاجات وأفضلها، والعلم بها أول الفروض، فأول واجب على المكلف معرفة الله جل جلاله. قال ابن تيمية(١) رحمه الله عن مَعرفة الله –: "الذي مَعرفتُه غاية المعارِف وعبادتُه أشرَفُ المقاصِد، والوصول إليه غايةُ المطالِب، بل هذا خُلاصة الدَّعوة النبويَّة وزبدة الرِّسالة الإلهيَّة"(٢)

قال ابن القيم(٣) رحمه الله: "لا حياةَ للقلوب، ولا نعيم ولا لذَّة، ولا سرور ولا أمان ولا طمأنينة، إلَّا بأن تعرف ربَّها ومعبودَها وفاطرها، بأسمائه وصفاته

---

(١) شيخ الإسلام، أبو العباس، أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن تيمية الحراني، الإمام العالم المفسر الفقيه المجتهد الحافظ المحدث، توفي سنة ٧٢٨هـ. يُنظر: العقود الدرية من مناقب شيخ الإسلام ابن تيمية، لمحمد الدمشقي١/٢٥، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، لابن حجر العسقلاني ١/ ١٦٨ – ١٨٦، البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، للشوكاني ١/ ٦٣ - ٧٢.

(٢) العقيدة الحموية ١٩٩.

(٣) شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب الزرعي ثم الدمشقي، الشهير بابن القيم الجوزية، الشيخ الإمام العلامة الفقيه الحنبلي، ولد سنة ٦٩١، وتوفي سنة ٧٥١هـ يُنظر: البداية والنهاية لابن كثير، ٥٢٣/١٨ الأعلام ٦/ ٥٦.موسوعة مواقف السلف في العقيدة، لأبي سهل المغراوي ٢٩٣/٨

وأفعاله، ويكون أحبَّ إليْها ممَّا سواه، ويكونَ سعيُها في ما يقرِّبُها إليه ويُدْنيها مِن مَرضاته"[١]

قال الشيخ عبد الرحمن بن سعدي[٢] رحمه الله: (لا سبيل إلى معرفة الله إلا بمعرفة أسمائه وصفاته، والتفقه في فهم معانيها.. بل حقيقة الإيمان أن يعرف الربّ الذي يؤمن به، ويبذل جهده في معرفة أسمائه وصفاته، حتى يبلغ درجة اليقين.)[٣].

قال قوام السنة الأصفهاني[٤] رحمه الله: (قال بعض العلماء: أول فرض فرضه الله على خلقه: معرفته، فإذا عرفه الناس عبدوه، قال الله تعالى: {فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ }[٥]، فينبغي للمسلمين أن يعرفوا أسماء الله وتفسيرها ؛ فيعظموا الله حق عظمته، ولو أراد رجل أن يعامل رجلاً: طلب أن يعرف اسمه وكنيته، واسم أبيه وجده، وسأل عن صغير أمره وكبيره، فالله الذي خلقنا ورزقنا، ونحن نرجو رحمته ونخاف من سخطه أولى أن نعرف أسماءه ونعرف تفسيرها)[٦].

---

(١) الصَّواعق المرسلة: ١/ ١٤٧.

(٢) عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي التميمي: من علماء الحنابلة، من أهل نجد، توفي: ١٣٧٦هـ، انظر: الأعلام ٣/ ٣٤٠

(٣) تفسير السعدي، ١ /٢٤.

(٤) إسماعيل بن محمد بن الفضل بن علي القرشي الطليحي التيمي الأصبهاني، أبو القاسم، الملقب بقوام السنة: من أعلام الحفاظ، توفي:٥٣٥هـ، ينظر: سير أعلام النبلاء ٢٠/ ٨٠ الأعلام ١/ ٣٢٣.

(٥) محمد : ١٩

(٦) الحجة في بيان المحجة، ١ / ١٢٢.

٢. أن العلم بأسماء الله وصفاته هو أشرف العلوم وأفضلها، قال ابن القيم رحمه الله: " ولا ريب ان العلم به وبأسمائه وصفاته وافعاله أجل العلوم وأفضلها ونسبته إلى سائر العلوم كنسبة معلومة إلى سائر المعلومات وكما أن العلم به أجل العلوم وأشرفها فهو أصلها كلها كما أن كل موجود فهو مستند في وجوده إلى الملك الحق المبين ومفتقر إليه في تحقق ذاته وأينيته وكل علم فهو تابع للعلم به مفتقر في تحقق ذاته اليه فالعلم به أصل كل علم ".(١)

وقال: " فإن العلم بالله وأسمائه وصفاته هو أشرف العلوم على الإطلاق وهو مطلوب لنفسه مراد لذاته قال الله تعالى﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ وَمِنَ ٱلۡأَرۡضِ مِثۡلَهُنَّۖ يَتَنَزَّلُ ٱلۡأَمۡرُ بَيۡنَهُنَّ لِتَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عِلۡمَۢا ١٢﴾ الطلاق: ١٢

فقد أخبر سبحانه أنه خلق السموات والأرض ونزل الأمر بينهن ليعلم عباده أنه بكل شيء عليم وعلى كل شيء قدير فهذا العلم هو غاية الخلق المطلوبة.

وقال تعالى: {فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ } فالعلم بوحدانيته تعالى وأنه لا إله إلا هو مطلوب لذاته وإن كان لا يكتفى به وحده بل لا بد معه من عبادته وحده لا شريك له فهما أمران مطلوبان لأنفسهما:

- أن يعرف الرب تعالى بأسمائه وصفاته وأفعاله وأحكامه.

(١) مفتاح دار السعادة ١/٨٦

- وأن يعبد بموجبها ومقتضاها فكما أن عبادته مطلوبة مرادة لذاتها فكذلك العلم به ومعرفته وأيضا فإن العلم من أفضل أنواع العبادات "[1].

قال ابن العربي[2] رحمه الله: " شرف العلم بشرف المعلوم، والباري أشرف المعلومات، فالعلم بأسمائه أشرف العلوم "[3].

٣. إن العلم بأسماء الله وصفاته هو الوسيلة الوحيدة والطريق السليم لتحقيق توحيد الله بأسمائه وصفاته ؛ إذ لا يمكن العمل بدون علم، ولا يمكن التقرب لله بدون معرفته ؛ لذا فحقيقة تحقيق توحيد الأسماء والصفات يكون بمعرفتها والعلم بها.

٤. أن الأوجه الكثيرة المتعددة المتنوعة التي حررت وبين فيها أهمية التوحيد مطلقا وعلى سبيل العموم، والتي يتضح منها فضل التوحيد وسمو منزلته وجلالة شأنه وعلو مكانته بين سائر العلوم والفنون الأخرى، وأنه هو أساسها، وأنه أصل العلوم وأشرفها ؛ فهذه الأوجه ونحوها هي شاملة لتوحيد الأسماء والصفات متضمنة له.

٥. توحيد الله بأسمائه وصفاته هو أحد أنواع التوحيد الثلاثة – إضافة للربوبية والألوهية–، والتي لا يصح إيمان المرء ولا يستقيم له توحيده إلا بالإيمان بها جميعا، وهي التي تتضمن الركن الأول من أركان الإيمان: الإيمان

---

(١)المصدر السابق ١٧٨/١

(٢) ابن العربي أبو بكر محمد بن عبد الله الأندلسي، ولد سنة ٤٦٨، وتوفي سنة ٥٤٣هـ. ينظر: سير أعلام النبلاء، ١٩٧/٢٠

(٣) أحكام القرآن ٨٠٤/٢

بالله عز وجل، ومما لا شك فيه أن الإيمان بالله هو أفضل أركان الإيمان الستة وأجلها، بل هو أصلها وأعظمها قال تعالى ﴿كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ﴾(1)، وعليه مدار بقية الأركان من الإيمان بالملائة والكتب والرسل واليوم الآخر والقدر.

٦. وهذا النوع – أي توحيد الأسماء الصفات – مع أنه ركن مستقل عن بقية الأنواع، إلا أن له ارتباط وعلاقة وثيقة ببقية أنواع التوحيد، مما لا يمكن تحقيقها أو أحدها إلا به ومن خلاله، فهو يستلزم أنواع التوحيد كلها ويتضمنها.

٧. ومع أن كثيرا من العلماء ينص على أن أهم أنواع التوحيد توحيد الألوهية، وأن عليه مدار قبول العمل ورده، وهو الغاية من إرسال الرسل وإنزال الكتب، بل هو الغاية من خلق الجن والأنس، مع هذا كله إلا أن كل ذلك قائم ومبني على توحيد الأسماء والصفات، فعبادة الله ومعرفته لا تتحقق إلا بمعرفة أسمائه وصفاته فالمعرفة هي الطريق للعبادة، وعليه فمعرفة أسماء الله وصفاته هي أصل عبادة الله سبحانه وتعالى.

قال الشيخ السعدي رحمه الله: تمام العبادة، متوقف على المعرفة بالله، بل كلما ازداد العبد معرفة لربه، كانت عبادته أكمل، فهذا الذي خلق الله المكلفين لأجله، فما خلقهم لحاجة منه إليهم.(2)

---

(١) البقرة : ٢٨٥

(٢) تفسير السعدي ٨١٣/١

٨. أن الحكمة من خلق الله للخلق وإيجادهم من العدم وتسخير السماوات والأرض وما فيهما لهم إلا ليعبدوه، وعبادته لا تتحقق إلا بمعرفته سبحانه وتعالى، ولذا فدعوة الرسل هي تعريف الناس بربهم وبأسمائه وصفاته والطرق الموصلة إليه للوصول إلى دار كرامته والفوز بجناته.

قال العلامة ابن القيم رحمه الله: " إن دعوة الرسل تدور على ثلاثة أمور: تعريف الرب المدعو إليه بأسمائه وصفاته وأفعاله. الأصل الثاني: معرفة الطريق الموصلة إليه وهي ذكره وشكره وعبادته التي تجمع كمال حبه وكمال الذل له. الأصل الثالث: تعريفهم ما لهم بعد الوصول إليه في دار كرامته من النعيم الذي أفضله وأجله رضاه عنهم... ".(١)

٩. هناك ارتباط وتلازم بين توحيد الله بأسمائه وصفاته وبين توحيد الألوهية، فكلما حقق العبد توحيد الأسماء والصفات كلما كان أعظم وأكمل توحيدا لله وعبودية له. وكذا تلازم بين إنكار الأسماء والصفات والشرك.

قال ابن القيم رحمه الله في تقرير هذا التلازم: "كل شرك في العالم فأصله التعطيل، فإنه لولا تعطيل كماله أو بعضه وظن السوء به، لما أشرك به، كما قال إمام الحنفاء وأهل التوحيد لقومه: { أَئِفْكاً آلِهَةً دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ فَمَا ظَنُّكُم

---

(١) الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعطلة ٤/ ١٤٨٩

بِرَبِّ العَالَمِينَ }[1] والمقصود: أن التعطيل مبدأ الشرك وأساسه، فلا تجد معطلاً إلا وشركه على حسب تعطيله، فمستقلّ ومستكثرٌ"[2].

وأوضح ابن القيم رحمه الله التلازم بين التوحيدين بقوله: " ولا يتم التوكل إلا بمعرفة الربّ وصفاته من قدرته وكفايته وقيوميته وانتهاء الأمور إلى علمه، وصدورها عن مشيئته وقدرته، قال شيخنا ابن تيمية –رحمه الله–: لا يستقيم التوكل إلا من أهل الإثبات... فكل من كان بالله وصفاته أعلم وأعرف، كان توكله أصح وأقوى، والله سبحانه وتعالى أعلم"[3].

١٠. أن القرآن الكريم حث وأمر بتدبر آياته وفهمها فهما صحيحا، وذم من لم يفهم معانيها، ومن جملة ذلك أسماء الله وصفاته، بل هي تدخل دخولا أوليا، إذ معظم الآيات بل لا تخلو آية من آيات القرآن من ذكر لأسماء الله تعالى وصفاته مما يؤكد على أهميةِ العلم بها والضرورة الماسَّة لمعرفتها.

كما قال سبحانه: { كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُوا الأَلْبَابِ }[4]، وذمّ القرآن من لا يفهمه، فقال تعالى: {فَمَالِ هَؤُلاءِ القَوْمِ لا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثاً }[5].

---

(١) الصافات : ٨٦، ٨٧

(٢) انظر مدارج السالكين، ٣/ ٣٤٧

(٣) مدارج السالكين، ٢ / ١١٧

(٤) ص : ٢٩

(٥) النساء : ٧٨

بل جاءت آيات كثيرة فيها الأمر بتعلم أسماء الله وصفاته والعناية بها، قال الله تعالى: {فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ}(١)وقال: {وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ}(٢)، وقال: {وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ}(٣)وقال: {وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ}(٤)، وقال: {اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ}(٥) والآيات في هذا نحو ثلاثين آية.

قال ابن القيم رحمه الله: " فالقرآن كلُّه بيان لصفة الله – عزَّ وجلَّ – فهو إمَّا إخبار عن ذات الله وصفاتِه، أو عمَّا صَنعه بأوليائِه مِن الرُّسل والمؤمنين، وهذا بيانُ أفعالِه وإكرامِه وإحسانه، أو عمَّا أحلَّه بأعدائه وهذا مِن صفاته، فالقُرآن مِن أوَّل بسم الله الرَّحمن الرحيم إلى: { مِنَ الجِنَّةِ وَالنَّاسِ }(٦) كلُّه بيانٌ لصفات الله – سبحانه وتعالى"(٧).

قال شيخ الإسلام ابن تيميَّة رحمه الله:

"والقُرآن فيه مِن ذِكْر أسماء الله وصفاته وأفعاله أكثرُ ممَّا فيه مِن ذكْر الأكْل والشُّرب والنكاح في الجنَّة،... والآيات المتضمِّنة لذكر أسماء الله وصفاته أعظم قدرًا مِن آيات المعاد، فأعظمُ آيةٍ في القرآن آيةُ الكرسي المتضمِّنة لذلك،....

---

(١) البقرة: ٢٠٩

(٢) البقرة:٢٣٣

(٣) البقرة: ٢٣٥

(٤) البقرة: ٢٦٧

(٥) المائدة: ٩٨

(٦) الناس: ٦

(٧)طريق الهجرتين ص ٢١١

وأفضلُ سورةٍ سورةُ أمّ القرآن....، وفيها مِن ذكْر أسماء الله وصفاته أعظم ممَّا فيها مِن ذكْر المِعاد".[1]

١١. أن معرفة أسماء الله وصفاته والعلم بها تقرب العبد من مولاه ؛ فمنزلة العبد عند مولاه سبحانه على قدر معرفته به، كما أنها سبب ووسيلة لاتصاف العبد بمقتضيات صفات الله عز وجل، مما يزيد العبد حب الله له والقرب منه فالله سبحانه يحب ظهور آثار صفاته في خلقه، وهذا من لوازم كماله.

قال ابن القيم رحمه الله: " لما كان سبحانه يحبّ أسماءه وصفاته: كان أحبّ الخلق إليه من اتصف بالصفات التي يحبها، وأبغضهم إليه: من اتصف بالصفات التي يكرهها، فإنما أبغض من اتصف بالكبر والعظمة والجبروت ؛ لأن اتصافه بها ظلم، إذ لا تليق به هذه الصفات ولا تحسن منه ؛ لمنافاتها لصفات العبيد، وخروج من اتصف بها من ربقة العبودية، ومفارقته لمنصبه ومرتبته، وتعديه طوره وحدّه، وهذا خلاف ما تقدم من الصفات كالعلم والعدل والرحمة والإحسان والصبر والشكر، فإنها لا تنافي العبودية، بل اتصاف العبد بها من كمال عبوديته، إذ المتصف بها من العبيد لم يتعد طوره، ولم يخرج بها من دائرة العبودية"[2].

وقال رحمه الله: " لكل صفة عبوديةٌ خاصة هي من موجباتها ومقتضياتها، أعني: من موجبات العلم بها والتحقيق بمعرفتها، وهذا مطرد في جميع أنواع العبودية التي على القلب والجوارح:

---

(١)درء تعارض العقل والنقل: ٥/ ٣١٠.

(٢) طريق الهجرتين ص ١٢٩.

فعلم العبد بتفرد الرب تعالى بالضرّ والنفع، والعطاء والمنع، والخلق والرزق، والإحياء والإماتة: يثمر له عبودية التوكل عليه باطناً، ولوزام التوكل وثمراته ظاهراً، وعلمه بسمعه تعالى وبصره، وعلمه أنه لا يخفى عليه مثقال ذرة، وأنه يعلم السر، ويعلم خائنة الأعين وما تُخفي الصدور: يثمر له حفظ لسانه وجوارحه وخطرات قلبه على كل ما لا يرضي الله، وأن يجعل تعلق هذه الأعضاء بما يحبه الله ويرضاه، فيثمر له ذلك: الحياء باطناً، ويثمر له الحياء اجتناب المحرمات والقبائح، ومعرفته بغناه وجوده وكرمه وبره وإحسانه ورحمته توجب له سعة الرجاء وكذلك معرفته بجلال الله وعظمته وعزه، تثمر له الخضوع والاستكانة والمحبة، وتثمر له تلك الأحوال الباطنة أنواعاً من العبودية الظاهرة، هي موجباتها.. فرجعت العبودية كلها إلى مقتضى الأسماء والصفات"(١).

"ويحبُّ أسماءه وصفاته، ويُحب المتعبِّدين له بها، ويحبُّ مَن يسأله ويدعوه بها، ويحبُّ مَن يعرفها ويعقلها، ويُثْني عليه بها، ويَحمده ويمدحه بها؛ كما في الصَّحيح عن النَّبيّ – صلَّى الله عليه وسلَّم –: (ليْس أحدٌ أحبَّ إليْه المدْحُ مِن الله؛ مِن أجل ذلك مدَح نفسه، وليس أحدٌ أغْيَر مِن الله؛ مِن أجل ذلك حرَّم الفواحش، وليس أحدٌ أحبَّ إليه العذْرُ مِن الله؛ مِن أجل ذلك أنزَل الكتُب وأرسَل الرُّسل)(٢)

(١) انظر مفتاح دار السعادة، ٢ /٩٠ باختصار، وانظر : طريق الهجرتين، ص ٤٣، ومدارج السالكين، ١/٤٢٠، ٣ /٣٥١، والفوائد، ص ٦٣.

(٢)صحيح؛ رواه مسلم ٤٩٥٨/ التوبة/ باب: غيرة الله تعالى.

ولمحبته لأسمائه وصفاتِه أمَرَ عباده بِموجبها ومقتضاها، فأمرَهم بالعدْل والإحسان، والبِرّ والعفو... ولما كان سبحانه يُحبُّ أسماءَه وصفاته كان أحبَّ الخلْق إليْه منِ اتَّصف بالصِّفات التي يحبُّها، وأبغَضَهم إليْه مَن اتَّصف بالصِّفات التي يكرهها"(١)...

قال ابن القيم رحمه الله: " وأحب الخلق إلى الله من اتصف بمقتضيات صفاته فإنه:

كريم يحب الكريم من عباده، وعالم يحب العلماء، وقادر يحب الشجعان وجميل يحب الجمال وهو سبحانه وتعالى رحيم يحب الرحماء، وإنما يرحم من عباده الرحماء، وهو ستير يحب من يستر على عباده، وعفو يحب من يعفو عنهم من عباده،وغفور يحب من يغفر لهم من عباده، ولطيف يحب اللطيف من عباده ويبغض الفظ الغليظ القاسي الجعظري الجواظ(٢)، ورفيق يحب الرفق وحليم يحب الحلم ومن عامل خلقه بصفة عامله الله تعالى بتلك الصفة بعينها في الدنيا والآخرة فالله تعالى لعبده على حسب ما يكون العبد لخلقه فكما تدين تدان وكن كيف شئت فان الله تعالى لك كما تكون أنت لعباده".(٣)

١٢- هناك جانب آخر يبرز أهمية الإيمان بأسماء الله وصفاته وهو آثار المعرفة والتعبد بأسماء الله وصفاته سواء على العبد نفسه خصوصا والتي لا يُحاط بالوصف ولا يُدرك إلا لمن يُرزق فهمها ومعرفتها، أو على المجتمع عموما، فالعلم بتلك الآثار تبرز أهميته ومنزلة بجلاء ووضوح.

---

(١)مفتاح دار السعادة: ١/ ١٣٧.

(٢) أما الجواظ فهو الجموع المنوع أي الذي يحرص على جمع المال، ولا يصرفه في مصارفه المشروعة. الجعْظري : الفظ الغليظ، أو الأكول الغليظ، والقصير المتنفخ، بما ليس عنده. انظر القاموس المحيط

(٣) الوابل الصيب ص ٢٤-٢٥

المبحث الأول: التعبير عن تحقيق مقتضى الأسماء والصفات، وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: معنى " أحصاها ":

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا، مِائَةً إِلَّا وَاحِدًا، مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ).(١)

بين العلماء المراد من الإحصاء في الحديث " من أحصاها دخل الجنة " بأنه يشمل أمورا، وهي:

أولا: تحقيق العلم بأسماء الله وصفاته ابتداءً، فيتعلمها،ويحفظ ألفاظها وعددها، مع التيقن بان الأسماء أسماء حسن وكمال، وأن الصفات صفات عليا وتمام.

ثانيا: فهم وفقه معانيها ومدلولها، وإدراك موجبها، وآثارها، ومقتضياتها، ومتعلقها، ولوازمها، وأحكامها، وارتباط هذه الأسماء بآثار ما يجريه الله في الملكوت.

ثالثا: العمل بها وتحقيق ما تقتضيه، وتعبد الله بها، فيعامل كل اسم أو صفة بما يقتضيه ذلك الاسم أو تقتضيه تلك الصفة، وهذا ثمرة الإيمان بها، وذلك من خلال:

---

(١)أخرجه البخاري في كتاب التوحيد باب إن لله مائة اسم إلا واحدا حديث رقم ٧٣٩٢، وأخرجه مسلم في كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب في أسماء الله تعالى وفضل من أحصاها، حديث رقم ٢٦٧٧.

- الاتصاف بالصفات التي يحب الله أن يتصف بها

- الانتهاء والبعد عن الصفات التي يكرهها الله عز وجل من عبيده.

- دعاء الله عز وجل بها، كما في قوله تعالى:{ ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها }[١]، وتجعلها وسيلة لما تطلبه وتدعو الله به. والدعاء مرتبتان: أحدهما: دعاء ثناء وعبادة. والثاني: دعاء طلب ومسألة.

وهذه المعاني الثلاث لا تعارض بينها، فاللفظ يشملها كلها، كما أنها — كما ذكر ابن القيم وغيره- مراتب يبتدئ بتعلمها وحفظها، وفهم ومعرفة معانيها ومدلولها، ثم تأتي ثمرة ذلك وهي المرتبة الثالثة العمل بها وتحقيق مقتضياتها.

فالإنسان إذا فعل هذا: أحصاها لفظاً، وفهمها معنى، وتعبد الله بها، فهذا هو الدين، ومن دان لله بهذا أدخله الله الجنة[٢].

وبهذا يتبين أن الإحصاء لا يراد به:حفظها عدا وأحصاها سردا فقط، من غير أن يعمل بها، وإلا أصبح كمن يحفظ القرآن ولا يعمل بما فيه، فلا ينفعه ذلك، ويكون حاله كحال الخوارج الذين ثبت فيهم بنص الحديث الصحيح (أنهم يقرءون القرآن ولا يجاوز حناجرهم)[٣]، وكذلك الكافر لو عرف وحفظ هذه الأسماء فإنه لا يدخل الجنة، إذ الجنة لا يدخلها إلا المؤمنون.

---

(١) الأعراف : ١٨٠

(٢) سلسلة لقاءات الباب المفتوح ٢٢/١٧

(٣) رواه البخاري كتاب استتابة المرتدين باب قتل الخوارج والملحدين حديث رقم ٦٩٣٠

اختلاف الناس في التعبير عن " العمل بها وتحقيق ما تقتضيه"

وهذه المرتبة الثالثة وهي: "العمل بالأسماء والصفات وتحقيق ما تقتضيه " تفاوتت أقوال الناس في التعبير عنها وتسميتها، ويمكن حصر الأقوال في أربعة ألفاظ، كما ذكر ذلك ابن القيم رحمه الله – بعد أن ذكر مراتب إحصاء أسماء الله وصفاته – قال: " وهذه العبارة – أي المرتبة الثالثة دعاؤه بها – أولى من عبارة من قال يتخلق بأسماء الله فإنها ليست بعبارة سديدة وهي منتزعة من قول الفلاسفة بالتشبه بالإله على قدر الطاقة، وأحسن منها عبارة أبي الحكم بن برهان[1] وهي التعبد، وأحسن منها العبارة المطابقة للقرآن وهي الدعاء المتضمن للتعبد والسؤال، فمراتبها أربعة: أشدها إنكارا عبارة الفلاسفة وهي التشبه، وأحسن منها عبارة من قال التخلق، وأحسن منها عبارة من قال التعبد، وأحسن من الجميع الدعاء وهي لفظ القرآن. "[2]

إذن هناك أربع ألفاظ مستخدمة في هذا الباب:

لفظان باطلان، هما: أ- التشبه، ب- التخلق.

لفظان صحيحان، هما: أ- التعبد، ب- الدعاء.

وإليك الآن بيان وجه بطلان اللفظين الأولين، ووجه صحة اللفظين الأخرين.

(١) ابن بَرَّجَان أبو الحكم عبد السلام بن عبد الرحمن بن محمد اللخمي الإشبيلي،: الإفريقي الصوفي المعروف بابن برجان، قال ابن الأبار : كان من أهل المعرفة بالقراءات والحديث والتحقيق بعلم الكلام والتصوف مع الزهد والعبادة وله تواليف. ت. ٥٣٦ هـ ينظر فوات الوفيات ١: ٢٧٤، ولسان الميزان ٤: ١٣ العبر للذهبي ٤: ٢٤٣.الأعلام ٤/ ٦

(٢) انظر بدائع الفوائد ١/ ١٦٤

المطلب الثاني: بيان وجه بطلان لفظ كل من: التشبه والتخلق، وفيه ستة مسائل

كما تقدم فابن القيم رحمه الله أشار إلى بطلان كل من لفظ " التشبه " ولفظ " التخلق "، وبين أن لفظ التشبه أشد نكارة، وأن لفظ " التخلق " أحسن منه.

المسألة الأولى: وجه بطلان لفظ " التشبه ": فهو كما يلي:

التشبيه لغة: الشين والباء والهاء أصلٌ واحدٌ يدلُّ على تشابُه الشّيء وتشاكُلِهِ لوناً وَوَصْفاً[(١)]

والشبيه: المثل، والجمع أشباه. وأشبه الشيء الشيء ماثله.[(٢)]

أما التشبيه في الاصطلاح: فهو وصف الله بشيء من خصائص المخلوقين، وذلك بأن يثبت لله تعالى في ذاته أو صفاته وأفعاله من الخصائص مثل ما يثبت للمخلوق من الصفات، مثل أن يقال: يد الله مثل أيدي المخلوقين، واستواءه كاستوائهم، ونحو ذلك، أو يعطي لمخلوق من خصائص الرب تعالى، التي لا يماثله فيها شيء من المخلوقات.[(٣)]

والتشبيه نوعان:

الأول: تشبيه الخالق بالمخلوق.

---

(١) مقاييس اللغة: ٢٤٣/٣.

(٢) لسان العرب: ٥٠٣/١٣.

(٣) مقالة التشبيه وموقف أهل السنة منها٧٩/١

الثاني: تشبيه المخلوق بالخالق، بإثبات شيء للمخلوق مما يختص به الخالق عز وجل من الأفعال والحقوق والصفات[1] وهذا هو المراد هنا فمن أعطى للمخلوق صفات الخالق أو بعضها فقد شبه.

والتشبيه بهذا المفهوم مذموم لدى عامة طوائف المسلمين، بل بلغ ببعض المعطلة نفي وتعطيل بعض صفات الله الثابتة في الكتاب والسنة بحجة تنزيه الله عز وجل من التشبيه.

فلفظ " التشبيه " و"التشبه" يرد عند طوائف المسلمين على سبيل الذم لمن يقول به ويتمثله.

ولذا فلا خلاف لدى المسلمين – فيما أعلم – بأن عبارة " التشبه بصفات الله " عبارة باطلة وغير صحيحة، وينزه الخالق عنها، وإنما هي من قول الفلاسفة بالتشبه كما ذكر ابن القيم رحمه الله.[2] ويقول الجرجاني[3] رحمه الله في تعريف الفلسفة: "الفلسفة التشبه بالإله بحسب الطاقة البشرية لتحصيل السعادة الأبدية كما أمر الصادق في قوله تخلقوا بأخلاق الله أي تشبهوا به في الإحاطة بالمعلومات والتجرد عن الجسمانيات".[4]

وعليه فلفظ التشبه لفظ باطل كما نص عليه ابن القيم رحمه الله في النص السابق ذكره.

---

(١) المصدر السابق ١/١٦٤.

(٢) انظر بدائع الفوائد ١/١٧٢

(٣) علي بن محمد بن علي الحنفي الشريف الجرجاني، ولد سنة ٧٤٠، وتوفي ٨١٦هـ. ينظر: بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة لجلال الدين السيوطي، ٢/١٩٦ وسلم الوصول إلى طبقات الفحول لحاجي خليفة، ٢/٣٨٨.

(٤) التعريفات ص ٢١٦

المسألة الثانية: وجه بطلان لفظ "التخلق"، وفيها ستة فروع:

أما التعبير بلفظ "التخلق"كقولهم " التخلق بأخلاق الله، وهو اللفظ الذي وقع فيه خلاف بين العلماء في صحة وجواز التعبير به واستعماله وبين منع ذلك وأنه لفظ فاسد وباطل. وعليه فسيكون الحديث عنه مفصلا. ليشمل كل ما يتعلق به من جميع جوانبه، وسكون الحديث عنه من خلال المحاور التالية:

الفرع الأول: التعريف بلفظ "التخلق" و"الأخلاق" في اللغة والاصطلاح.

الفرع الثاني: ورود لفظ الخلق والتخلق في القرآن الكريم والسنة النبوية، ومعناه فيهما.

الفرع الثالث: ما ورد في السنة من وصف صفات الله عز وجل بالأخلاق.

الفرع الرابع: صحة إطلاق لفظ " الأخلاق على صفات الله عز وجل.

الفرع الخامس: صحة إطلاق لفظ " التخلق ".

الفرع السادس: صلة هذا اللفظ بتشبه المخلوق بصفات الخالق.

***

الفرع الأول: التعريف بلفظ "التخلق" و"الأخلاق" في اللغة والاصطلاح

التخلق والأخلاق في اللغة:

(خ ل ق). (فعل: خماسي لازم متعد بحرف). تخلقت، أتخلق، تخلق، مصدر تخلق.

تخلق: تكلف أن يظهر من خلقه خلاف ما ينطوي عليه

وتخلق بأخلاق كذا: تطبع بها.

وتخلق بغير خلقه: تكلفه من غير أن يكون له.

وتخلق بأخلاق العلماء: حمل نفسه على التطبع بها، وجعلها خلقا له.[1]

والخلق بضم اللام وسكونها في لغة العرب: هو الطبع والسجية، والمروءة والدين.

قال ابن فارس[2] رحمه الله: "الخاء واللام والقاف أصلان: أحدهما تقدير الشيء، والآخر ملامسة الشيء.... ومن ذلك: الخلق وهي السجية؛ لأن صاحبه قد قدر عليه".[3]

---

(١) معجم اللغة العربية المعاصرة ص ١٧٠

(٢) أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين: من أئمة اللغة والأدب. توفي سنة ٣٩٥هـ ينظر : معجم الادباء ٤ / ٨٠، الوافي بالوفيات ٧ / ٢٧٨،البداية والنهاية ١١ / ٣٣٥، بغية الوعاة ١ / ٣٥٢، شذرات الذهب ٣ / ١٣٢، سير أعلام النبلاء ١٠٢/١٧

(٣) معجم المقاييس في اللغة؛ ص: ٣٢٩

وقال الفيروز آبادي(١) رحمه الله: "الخلق: بالضم، وبضمتين: السجية والطبع، والمروءة والدين".(٢)

وقال ابن منظور(٣) رحمه الله: "الخلق: الخليقة؛ أعني: الطبيعة، وفي التنزيل: { وإنك لعلى خلق عظيم}(٤)، والجمع: أخلاق، لا يكسر على غير ذلك.(٥)

الخلق والخلق في الأصل واحد ... ولكن خص الخلق – بفتحة على الخاء – بالهيئات، والأشكال، والصور المدركة بالبصر.

وخص الخلق – بضمة على الخاء – بالسجايا والطباع المدركة بالبصيرة.

قال تعالى { وإنك لعلى خلق عظيم } أي: لعلى دين عظيم،

وقال تعالى { إن هذا إلا خلق الأولين }(٦) أي عاداتهم ودينهم الذي كانوا يدينون به.

---

(١) محمد بن يعقوب بن محمد بن إبراهيم بن عمر، أبو طاهر، مجد الدين الشيرازي الفيروزآبادي، من أئمة اللغة والأدب. توفي ٨١٧ هـ ينظر : البدر الطالع ٢/ ٢٨٠ والضوء اللامع ١٠/ ٧٩ وبغية الوعاة ١١٧

(٢) القاموس المحيط ص: ٧٩٣.

(٣) محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين، ابن منظور الأنصاري، الإمام اللغوي، من أشهر مصنفاته: لسان العرب، توفي: ٧١١هـ، انظر: الأعلام ٧/ ١٠٨.

(٤) القلم: ٤

(٥) لسان العرب ١٠: ٨٦، ٨٧

(٦) الشعراء: ١٣٧

قال الراغب الأصفهاني[1] رحمه الله: "والخلق والخلق في الأصل واحد كالشرب والشرب، والصرم والصرم، لكن خص الخلق بالهيئات والأشكال والصور المدركة بالبصر، وخص الخلق بالقوى والسجايا المدركة بالبصيرة".[2]

والخلق هو الطبع المتكلف، أما إن كان طبع غريزي فيسمى " الخيم "

قال القرطبي[3] رحمه الله: "وحقيقة الخلق في اللغة هو ما يأخذ الإنسان به نفسه من الأدب يسمى خلقا؛ لأنه يسير كالخلقة فيه، وأما ما طبع عليه من الأدب فهو الخيم -بالكسر-: السجية والطبيعة، لا واحد له من لفظه، فيكون الخلق الطبع المتكلف، والخيم الطبع الغريزي، وقد أوضح ذلك الأعشى في شعره فقال: وإذا ذو الفضول ضن على المولى وعادت لخيمها الأخلاق أي: رجعت الأخلاق إلى طبائعها"[4]

***

(١) الحسين بن محمد بن المفضل، أبو القاسم الأصفهاني المعروف بالراغب: أديب، من الحكماء، توفي: ٥٠٢هـ، انظر: سير أعلام النبلاء ١٨/ ١٢٠، الأعلام ٢/ ٢٥٥

(٢) مفردات ألفاظ القرآن ص: ٢٩٧

(٣) أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي القرطبي الإمام العلامة من كبار المفسرين، توفي سنة٦٧١ هـ. ينظر: تاريخ الإسلام، للذهبي٢٢٩/١٥، الأعلام للزركلي، ٣٢٢/٥.

(٤) الجامع لأحكام القرآن ١٨: ٢٢٧

الأخلاق في الاصطلاح:

في الاصطلاح تطلق الأخلاق باعتبارين:

الأول إطلاق عام: وهو ما ذكره الغزالي[(١)] رحمه الله حين عرف الخلق بقوله: "الخلق عبارة عن هيئة في النفس راسخة، عنها تصدر الأفعال بسهولة ويسر من غير حاجة إلى فكر وروية".[(٢)]

وعلى هذا فالأخلاق هي ثابتة ومستقرة لدى المرء، وليست عرضة وطارئة، فهي صفة تتكرر لدى المرء متى حان وقتها، أما إن كانت عارضة ولا يفعلها المرء إلا مرة أو نحوها فلا تسمى خلقا.

كما أن هذه الصفات المستقرة منها ما يكون خلقا ومنها ما يكون غريزة ودافعا، زمما يميز الخلق عنها أن آثار سلوك المرء فيه مما يحمد عليه أو يذم، بينما الغريزة والدافع قد يكون فطريا وتتكافؤ فيه حاجات الإنسان[(٣)]، ولذا فالخلق إذا أطلق فيشمل الحسن والقبيح، والممدوح والمذموم، وإن كان في الغالب إذا أطلق يكون المراد به الحسن الممدوح.

---

(١) محمد بن محمد بن محمد الغزالي الطوسي، أبو حامد، صاحب التصانيف، ولد سنة ٤٥٠، وتوفي سنة ٥٠٥هـ. ينظر: سير أعلام النبلاء ١٩/ ٣٢٢، والأعلام ٧/ ٢٢.

(٢) إحياء علوم الدين ٣: ٤٧

(٣) انظر الأخلاق الإسلامية وأسسها ١/ ١٠

قال ابن عاشور[1] رحمه الله: "خلق بضمتين: فهو السجية المتمكنة في النفس، باعثة على عمل يناسبها من خير أو شر. وقد فسر بالقوى النفسية، وهو تفسير قاصر.

فيشمل طبائع الخير وطبائع الشر؛ ولذلك لا يعرف أحد النوعين من اللفظ إلا بقيد يضم إليه فيقال: خلق حسن، ويقال في ضده: سوء الخلق، أو خلق ذميم، قال تعالى: و{إنك لعلى خلق عظيم}[2]

وفي الحديث: (وخالق الناس بخلق حسن)[3] فإذا أطلق عن التقييد انصرف إلى الخلق الحسن.... والخلق في اصطلاح الحكماء: ملكة؛ "أي: كيفية راسخة في النفس أي: متمكنة في الفكر"، تصدر بها عن النفس أفعال صاحبها بدون تأمل.

فخلق المرء مجموعة غرائز -أي: طبائع نفسية- مؤتلفة من انطباع فكري إما جبلي في أصل خلقته، وإما كسبي ناشئ عن تمرن الفكر عليه وتقلده إياه لاستحسانه إياه عن تجربة نفعه، أو عن تقليد ما يشاهده من بواعث محبة ما شاهد،

---

(١) محمد الطاهر بن عاشور المالكي، ولد سنة ١٢٩٦، وتوفي سنة ١٣٩٣هـ.انظر: الأعلام للزركلي، ١٧٤/٦.

(٢) القلم: ٤

(٣) أخرجه الترمذي في أبواب البر والصلة باب ما جاء في معاشرة الناس حديث رقم ١٩٨٧، قال الألباني حديث حسن. ورواه الإمام أحمد في مسنده في مسند الأنصار حديث أبي ذر الغفاري حديث رقم ٢١٣٥٤

وينبغي أن يسمى اختيارا من قول أو عمل لذاته، أو لكونه من سيرة من يحبه ويقتدي به، ويسمى تقليدا، ومحاولته تسمى تخلقا.

قال سالم بن وابصة[1]: عليك بالقصد فيما أنت فاعله إن التخلق يأتي دونه الخلق

فإذا استقر وتمكن من النفس صار سجية له يجري أعماله على ما تمليه عليه وتأمره به نفسه بحيث لا يستطيع ترك العمل بمقتضاها[2].

الثاني: إطلاق خاص

فيراد به التمسك بأحكام الشرع وآدابه فعلا وتركا. وهذا هو معناه في الشرع.

وعند النظر والاستقراء للنصوص الشرعية يلحظ أن الاستخدام الشرعي للفظ "الخلق"، لا يختلف كثيرا عن المعنى اللغوي لهذه الكلمة.

***

(١) سالم بن وابصة الأسدي ذكره الطبري وغيره في الصحابة ذكره المرزباني في معجمه، فقال: "سالم بن وابصة بن معبد الأسدي، ويقال: اسم جده عتبة بن قيس بن كعب"، توفي سنة ١٢٥ هـ ينظر الإصابة ٢١/٣، أسد الغابة ٣٨٧/٢، المؤتلف والمختلف ١٩٧، الأعلام ٧٣/٣

(٢) التحرير والتنوير ١٩ /١٧١-١٧٢

الفرع الثاني: ورود لفظ الخلق والتخلق في القرآن الكريم والسنة النبوية، ومعناه فيهما.

لفظ الخلق في القرآن الكريم:

جاءت كلمة الخلق في القرآن في موضعين:

الأول: قوله تعالى على لسان قوم هود: { إن هذا إلا خلق الأولين }[١] " معناه: ما هذا إلا دين الأولين وعادتهم وأخلاقهم".[٢]

قال الألوسي[٣] رحمه الله: "أي: ما هذا الذي جئتنا به إلا عادة الأولين يلفقون مثله ويدعون إليه،

أو ما هذا الذي نحن عليه من الحياة والموت إلا عادة قديمة لم يزل الناس عليها،

أو ما هذا الذي نحن عليه من الدين إلا عادة الأولين الذين تقدمونا من الآباء وغيرهم"[٤].

الثاني: قوله تعالى مخاطبا نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم: { وإنك لعلى خلق عظيم }[٥]

---

(١) الشعراء: ١٣٧

(٢) تفسير الطبري ١/ ٢٧٧

(٣) أبو المعالي محمود شكري بن عبد الله بن محمد بن أبي الثناء الألوسي، مفسر، وكاتب أديب، وفقيه واعظ، توفي سنة: ١٣٤٢هـ. ينظر: أعلام العراق، لمحمد بهجت٨٥ - ٢٠٥

(٤) روح المعاني ١/ ١١٢

(٥) القلم: ٤

قال الطبري[1] رحمه الله: "يقول -تعالى ذكره -لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: وإنك يا محمد، لعلى أدب عظيم، وذلك أدب القرآن الذي أدبه به، وهو الإسلام وشرائعه، وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل".[2]

قال ابن كثير[3] رحمه الله: " عن ابن عباس رضي الله عنه: أي: وإنك لعلى دين عظيم، وهو الإسلام. وكذلك قال مجاهد، وأبو مالك، والسدي، والربيع بن أنس، والضحاك، وابن زيد. وقال عطية: لعلى أدب عظيم."[4]

لفظ الخلق في السنة النبوية:

أما في السنة المطهرة، فقد ورد لفظ "الخلق" في عدد من الأحاديث الصحيحة، ومن ذلك:

١. قول عائشة رضي الله عنها في وصف خلق الرسول صلى الله عليه وسلم: (كان خلقه القرآن)[5] ؛ أي: متمسكا بالقرآن وبآدابه، وأوامره ونواهيه، وما يشتمل عليه من المكارم والمحاسن والألطاف[6].

---

(١) أبو جعفر الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير، الإمام العلم المجتهد، ولد سنة ٢٢٤هـ، وتوفي سنة ٣١٠هـ. ينظر: سير أعلام النبلاء، للذهبي١٤/.

(٢) تفسير الطبري ٥٢٨/٢٣

(٣) عماد الدين إسماعيل بن عمر بن كثير أبو الفداء الإمام العلامة ولد سنة ٧٠٠ أو بعدها بيسير، توفي سنة ٧٧٤هـ. ينظر: الدرر الكامنة في أعلام المائة الثامنة ٤٤٥/١،الأعلام ١/ ٣٢٠

(٤) تفسير ابن كثير ١٨٨/٨

(٥) أخرجه أحمد (٢٣٤٦٠) والحاكم (٢: ٣٩٣) وصححه ووافقه الذهبي، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٤٨١١).

(٦) انظر لسان العرب ١٠/ ٨٧، وجامع العلوم والحكم؛ لابن رجب ٢/ ٩٩.

٢. قوله صلى الله عليه وسلم: (البر حسن الخلق)(١).

٣. قوله صلى الله عليه وسلم: (أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا)(٢).

قال ابن رسلان(٣): "الخلق عبارة عن أوصاف الإنسان التي يعامل بها غيره"(٤).

***

(١) أخرجه مسلم (٤٦٣٣) من حديث النواس بن سمعان رضي الله عنه.

(٢) رواه أبو داود في سننه ب الدليل على زيادة الإيمان، ٤/٢٥٤ وقال الألباني حسن صحيح

(٣) أحمد بن حسين بن حسن بن علي بن رسلان، أبو العباس، شهاب الدين، الرمليّ: فقيه شافعيّ. توفي سنة ٨٤٤ هـ ينظر البدر الطالع ١/ ٤٩ وشذرات الذهب ٧/ ٢٤٨

(٤) عون المعبود ١٢/ ٣٤٣

الفرع الثالث: ما ورد في السنة من وصف صفات الله عز وجل بالأخلاق

أما ما ورد في السنة من وصف صفات الله عز وجل بالأخلاق، فقد ورد جملة من الروايات في ذلك، بيد أن جميع تلك الروايات لم تثبت بسند صحيح، وهي إما ضعيفة أو موضوعة، وهذه هي الروايات التي وقفت عليها مع بيان حكمها كما ذكره العلماء والمختصين في هذا الشأن.

١- رواية: **(تخلقوا بأخلاق الله).**

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في ": "لا يعرف عن النبي صلى الله عليه وسلم بل هو من باب الموضوعات."(١)

ووصف ابن القيم رحمه الله هذا الأثر بأنه باطل " ورووا في ذلك أثرا باطلا تخلقوا بأخلاق الله "(٢)

وقال الألباني(٣) رحمه الله: "لا أصل له , أورده السيوطي في " تأييد الحقيقة العلية " (١/٨٩) دون عزو"(٤).

---

(١) تلبيس الجهمية ٥١٨/٦

(٢) مدارج السالكين ٢٤١/٣

(٣) أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين بن نوح نجاتي الألباني، الشيخ المحدث، علامة الشام، ولد سنة ١٣٣٣هـ، وتوفي سنة ١٤٢٠هـ. ينظر: موسوعة مواقف السلف في العقيدة، لأبي سهل المغراوي ٣٦٨/١٠، المعجم الجامع في تراجم العلماء وطلبة العلم المعاصرين لمجموعة من أعضاء ملتقى أهل الحديث، ص٣٢١.

(٤) السلسلة الضعيفة ٦/ ٣٤٦ رقم ٢٨٢٢.

وقال محققا شرح الطحاوية: " لا يعرف له أصل في شيء من كتب السنة، وذكره السيوطي رحمه الله في – تأييد الحقيقة العلية – ورقة ١/٨٩، ولم يعزه لاحد.)[١]

٢- في المطالب العالية: ٢٥٧٢ وقال أبو داود الطيالسي رحمه الله[٢]: حدثنا عبد الواحد بن زيد، حدثني عبد الله بن راشد مولى عثمان حدثني مولاي عثمان بن عفان رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (**إن لله تعالى مائة خلق وسبعة عشر خلقا، فمن أتى الله عز وجل بخلق واحد، دخل الجنة.**)[٣].

وقال البزار حدثنا محمد بن معمر، حدثنا أبو داود به.[٤]

وقال أبو يعلى: حدثنا إسحاق هو ابن أبي إسرائيل، حدثنا عبد الواحد، به.[٥]

ورواه البزار من هذا الوجه، وقال: لا نعلمه إلا من هذا الوجه وعبد الواحد ليس بالقوي، وعبد الله بن راشد مجهول[٦].

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي بتحقيق :التركي، الأرنؤوط ص ١٨١

(٢) مسند الطيالسي ص ١٤، رقم ٨٤

(٣) قال محقق المطالب العالية : هو في مسند الطيالسي بنفس الإسناد ولفظه: " إن الله عز وجل خلق مائة خلق وسبعة عشر خلقا، فمن أتى بخلق واحد، دخل الجنة." وهناك فرق بين هذا اللفظ وبين لفظ المطالب فنسبت في المطالب إلى الله تعالى وأما في لفظ المسند فهي مخلوقة. المطالب العالية ٤٣٢/١١،

(٤) في البحر الزخار ٩١/٢ وفي كشف الأستار ٢٨/١ بنفس الإسناد والمتن

(٥) في المسند الكبير لأبي يعلى كما في مجمع الزوائد ٣٦/١ والمقصد الأعلى ١٠٦/١ حديث ١٨

(٦) انظر المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية

قال البوصيري: ومدار أسانيدهم على عبد الواحد بن زيد، قال ابن عبد البر: أجمعوا على ضعفه[1]

قال الهيثمي: وفي إسناده عبدالله بن راشد وهو ضعيف[2]

وقال الألباني رحمه الله (ضعيف جدا)[3] وقال محقق المطالب العالية: إسناده ضعيف جدا.[4]

٣- **(السخاء خلق الله الأعظم)**.[5]

قال المنذري رحمه الله في الترغيب "رواه أبو الشيخ ابن حيان في كتاب الثواب".[6]

ورواه أبو نعيم في أخبار أصبهان[7]، وأورده السيوطي في الجامع الصغير

(١) الاتحاف ج٢ ق ١٣٤ نقلا عن المطالب العالية ٤٣١/١١

(٢) مجمع الزوائد ٣٦/١

(٣) ضعيف الجامع حديث رقم : ١٩٥٤. وانظر تخريج أحاديث إحياء علوم الدين ٢/ ٨٧٩ حديث رقم ١١٥٣

(٤) وقال فيه علتان : الأولى عبدالواحد بن زيد وهو متروك، والثانية عبد الله بن راشد وهو مستور. المطالب العالية ٤٣١/١١، حاشية حديث رقم ٢٥٧٢

(٥) "روى عن نافع قال: لقى يحيى بن زكريا عليه السلام إبليس لعنه الله فقال له: أخبرني بأحب الناس إليك وأبغضهم، قال: أحبهم إلى كل مؤمن بخيل وأبغضهم إلى كل منافق سخى قال: ولم ذاك؟ قال إبليس: لأن السخاء خلق الله الأعظم فأخشى أن يطلع عليه في بعض سخائه فيغفر له" المحاسن والأضداد للجاحظ ٨٧/١

(٦) الترغيب والترهيب ٢٨٣/٢ حديث رقم ١٩

(٧) أخبار أصبهان ١٧٨/٢ حديث ٤٨٢

نقلا عن تاريخ ابن النجار عن ابن عباس...[1]. وذكره الهندي في كنز العمال[2]. والديلمي في الفردوس بمأثور الخطاب[3].

قال ابن السبكي: لم أجد له إسنادا.[4].

وقال الألباني رحمه الله: ضعيف[5].

٤- عن عمار بن ياسر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **(حسن الخلق خلق الله الأعظم)**

رواه الطبراني وأبو نعيم و الديلمي، والمنذري، والهيثمي وقال: "وفيه عمرو بن الحصين وهو متروك"،[6] قال العراقي: ضعيف[7] قال الألباني: موضوع[8].

---

(١) الجامع الصغير ٧٠٨٣/١ حديث رقم ٧٠٨٥. وقال المناوي بعد شرحه للحديث : " (ابن النجار) في تاريخ بغداد (عن ابن عباس) وضعفه المنذري وظاهره أنه لم يخرجه أحد ممن وضع لهم الرموز مع أن أبا نعيم والديلمي خرجاه عن عمارة باللفظ المزبور بل رواه أبو الشيخ ابن حيان في كتاب الثواب " فيض القدير شرح الجامع الصغير ٤-١٣٤ حديث رقم ٤٨٠٢

(٢) كنز العمال٥٠٧/٦ حديث ١٥٩٢٦.

(٣) الفردوس بمأثور الخطاب٣٤١/٢ حديث ٣٥٤٢

(٤) ٦/ ٣٧٨ انظر تخريج أحاديث إحياء علوم الدين ص٢٣٧٤/٥ حديث ٣٧٨٧، اتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين ٢٠١/٨، ٦٧٩/٩

(٥) انظر صحيح وضعيف الجامع ٤٩٠/١ حديث رقم ٧٠٨٢، ضعيف الجامع ٢٠٤/١٥حديث رقم : ٣٣٣٩، ضعيف الترغيب والترهيب ١٧٤/٢ حديث ١٥٥٩، السلسلة الضعيفة: ٨/ ٣٧٣١ ٢٣٣

(٦) انظر المعجم الأوسط ١٨٤/٨ حديث ٨٣٤٤، حلية الأولياء ١٧٥/٢، الفردوس بمأثور الخطاب ١٤٠/٢ حديث ٢٧١٤، مجمع الزوائد ٢٢٨/٧ حديث ١٢٦٥٨، الترغيب والترهيب ٣٥٥/٣

(٧) تخريج الإحياء ٦٢/٣

(٨) ضعيف الجامع حديث رقم : ٢٧١٥، ضعيف الترغيب حديث رقم ١٥٩٧، السلسلة الضعيفة حديث رقم ٣٤٩٠

٥- عن أنس مرفوعا: **(أفضل الأعمال الصلاة لوقتها وخير ما أعطي الإنسان حسن الخلق إن حسن الخلق خلق من أخلاق الله)**[١].

قال الذهبي رحمه الله في ميزان الاعتدال: في ترجمة الحسن بن مقداد بعد أن ذكر الحديث: " فأحسب هذا وضعه، وإلا فالجسار."[٢]

٦- (إن لله تسعة و تسعين خلقا من تخلق بواحد منها دخل الجنة).[٣]

٧- (إن لله ثلاثمائة خلق من لقيه بخلق منها مع التوحيد دخل الجنة).

قال الحافظ العراقى رحمه الله: حديث «إن لله تعالى ثلاثمائة خلق....أخرجه الطبراني في الأوسط من حديث أنس مرفوعا عن الله تعالى[٤]. وقال الشوكاني: "وروى بألفاظ قال السخاوي والكل ضعيف ".[٥]

٨- عن عثمان بن عفان رضي الله عنه **(إن لله عز وجل مائة وسبعة عشر خلقا لا يوافي عبد بخلق منها إلا أدخله الجنة).**

وفي رواية **(إن لله تعالى مائة خلق وسبعة عشر خلقا من أتاه بخلق منها دخل الجنة).**

---

(١) كتاب موسوعة الأخلاق الإسلامية الدرر السنية - أحاديث لا أصل لها أو موضوعة في الأخلاق ص ٥٦

(٢) ميزان الاعتدال ١/٥٢٤ رقم ١٩٥٣

(٣) ذكره الغزالي في خاتمة المقصد الأسنى، ولم أجد من عزاه إلى أحد كتب السنة.

(٤) الطبراني **في** المعجم الأوسط ٢/٢٠ وفي إسناده أبو ظلال القسملي، وثقه ابن حبان والأكثر على تضعيفه.

(٥) الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة ١/٤٥٠ الحديث ١٧، وانظر قول العراقي في تخريج الأحياء حديث ٤١٩٦

وفي رواية: (**أن لله عز وجل مائة خلق وستة عشر خلقا من أتاه بخلق منها دخل الجنة**).

وفي رواية أخرى (**مائة خلق وسبعة عشر خلقا وفي رواية مائة وسبع عشرة شريعة**)[1].

رواه البيهقي رحمه الله وقال: " هكذا رواه عبد الواحد بن زيد البصري الزاهد وليس بالقوي في الحديث و قد خولف في إسناده و هو أيضا ليس بالقوي"[2].

وذكره الدارقطني رحمه الله في العلل: وقال:وهما بصريان ضعيفان — أي عبدالواحد بن زيد والحسن بن ذكوان- والحديث غير ثابت[3] وبنحوه قاله ابن الجوزي في العلل المتناهية[4].

قال السيوطي رحمه الله حسن[5].

قال:الألباني رحمه الله: ضعيف جدا.[6]

---

(١) الهيثمي في مجمع الزوائد ١/ ٤١ ابن حجر العسقلاني في المطالب العالية ٣/ ١٢٨

(٢) شعب الإيمان ٦/ ٢٦٦ حديث ٨٥٥٠

(٣) العلل للدارقطني ٣/ ٣٨-٣٩

(٤) العلل المتناهية ٢/ ٩٣٣-٩٣٤ حديث ١٥٥٧ وقال : قال يحيى بن معين عبد الواحد بن زيد ليس بشيء وقال الفلاس متروك الحديث وقال احمد بن حنبل احاديث ابن ذكوان اباطيل، وانظر تلخيص العلل المتناهية للذهبي ص ٣٦٣ حديث ١٠٤٨

(٥) الجامع الصغير٤/ ٤٢

(٦) ضعيف الجامع ١٩٥٤

٩- وقد قيل: إن الله سبحانه أوحى إلى داود:(**تخلق بأخلاقي، فإن من أخلاقي أني أنا الصبور**).[١]

وهذه الرواية: كما هو ظاهر أوردت بصيغة التمريض، كذلك هي مروية عن أهل الكتاب وروايات أهل الكتاب أقل ما يقال فيها التوقف فيها.

١٠- رواية عن الحسن البصري أنه قال: (**ألا إن المعروف خلق من أخلاق الله، وعليه جزاؤه**).

ذكره بن أبي الدنيا في كتابه قضاء الحوائج[٢] بإسناده: أخبرنا القاضي أبو القاسم، حدثنا أبو علي، حدثنا عبد الله قال: قال أبي رحمه الله: أخبرنا محمد بن جعفر المدائني، عن حمزة الزيات، عن أبي سفيان، عن الحسن.... وليس المراد بالحسن هنا الحسن البصري رحمه الله، بل المراد به الحسن الكوفي. قال عنه ابن حجر: مجهول.وقال الذهبي: لا يعرف.

فمن العرض السابق يتبين لنا أن ما ورد في السنة من وصف صفات الله عز وجل بالأخلاق، فجميع تلك الروايات لم تثبت بسند صحيح، وهي إما ضعيفة أو موضوعة.

***

(١)ذكره ابن القيم في عدة الصابرين ص ٨٥-٨٦

(٢)كتابه قضاء الحوائج ٢٤/١ حديث ٢٢، وفي رواية عن جابر النخعي، رفعه قال: "المعروف خلق من خلق الله كريم ." حديث ٢٣

الفرع الرابع: صحة إطلاق لفظ " الأخلاق" على صفة الله عز وجل.

المراد بلفظ:" الأخلاق " هنا هو أسماء الله وصفاته عز وجل، فأخلاق الله عز وجل أي أسماؤه وصفاته. وهذا واضح، لكن المسألة العقدية المرادة هنا هي حكم إطلاق مصطلح "الأخلاق" على الله عز وجل والعدول به عن مصطلح " الأسماء والصفات" ؟

عند تتبع لفظ " الأخلاق " في النصوص الشرعية، يتبين –كما تقدم – أنه لم يرد لا في الكتاب ولا في السنة ولا في كلام الصحابة وسلف الأمة من أئمة أهل السنة والجماعة إطلاقه على الله عز وجل.

وما ورد في السنة النبوية من أحاديث فيها لفظ " الأخلاق " فهي أحاديث لا تصح بل كثير منها لا أصل له وموضوع –كما تقدم بيانه –.

وأول من وقفت عليه ممن أطلق هذا اللفظ على الله عز وجل هو الحكيم الترمذي[1] رحمه الله حيث قال –في شرح حديث (إن لله تعالى مائة خلق وسبعة عشر خلقا فمن أتى الله بخلق واحد منها دخل الجنة) –: "كأنه يريد أن من أتاه بخلق واحد منها وهب له جميع سيئاته وغفر له سائر ذنوبه. وفي خبر أن الأخلاق في الخزائن فإذا أراد الله بعبد خيرا منحه خلقا منها، ألا ترى أن المفرط في دينه المضيع لحقوقه يموت وهو صاحب خلق من هذه الأخلاق

(١) الترمذي الحكيم :هو أبو عبد الله محمد بن علي بن الحسن بن بشر الحكيم الترمذي،قال الإمام الذهبي :

الإمام الحافظ العارف الزاهد... وكان ذا رحلة ومعرفة وله مصنفات وفضائل..وله حكم ومواعظ وجلالة لولا هفوة بدت منه.. ينظر : السير ١٣ ص:٤٣٩، لسان الميزان ٣٠٩/٥ مجموع الفتاوي لابن تيمية ٢٢٢/٢، ١٣ / ٢٦٧

فتنطلق الألسنة بالثناء عليه، فأخلاق الله أخرجها لعباده من باب القدرة، وخزنها لهم في الخزائن، وقسمها بينهم على قدر منازلهم عنده...

وقد عد في بعض الروايات من تلك الأخلاق كظم الغيظ والعفو عند القدرة والصلة عند القطيعة والحلم عند السفه والوقار عند الطيش ووفاء الحق عند الجحود والإطعام عند الجوع والقطيعة عند المنع والإصلاح عند الإفساد والتجاوز عن المسيء والعطف على الظالم وقبول المعذرة والإنابة للحق والتجافي عن دار الغرور وترك التمادي في الباطل. فإذا أراد الله بعبد خيرا وفقه لتلك الأخلاق،وإن أراد به شرا خلى بينه وبين أخلاق إبليس التي منها أن يغضب فلا يرضى ويسمع فيحقد ويأخذ في شره ويلعب فيلهو "[١].

قال المناوي[٢] رحمه الله: تتمة قال ابن عربي[٣]: سئل الجنيد عن المعرفة والعارف فقال لون الماء لون إنائه أي هو متخلق بأخلاق الله تعالى حتى كأنه هو وما هو هو. لم يصرح في هذا الحديث في أي مكان هذه الأخلاق ولم يصرح بأن الآتي بشيء من هذه الأخلاق شرطه الإسلام.

---

(١) انظر فيض القدير شرح الجامع الصغير ٦١٢/٢-٦١٣ حيث نقل المناوي ذلك عن الحكيم

(٢) محمد عبد الرؤوف بن تاج العارفين ابن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي، زين الدين، صاحب كتاب فيض القدير شرح الجامع الصغير، ولد سنة: ٩٥٢هـ وتوفي سنة: ١٠٣١ هـ.

(٣) ابن عربي أبو بكر محمد بن علي بن محمد الطائي، أبو بكر الملقب بالشيخ الأكبر عند الصوفية، فيلسوف، صوفي من أئمة المتكلمين قال الذهبي عنه : " ومن أردا تواليفه كتاب (الفصوص)، فإن كان لا كفر فيه، فما في الدنيا كفر، نسأل الله العفو والنجاة، " توفي سنة ٦٣٨هـ. ينظر سير أعلام النبلاء للذهبي، ٤٨/٢٣

وقد بين ذلك في حديث آخر روى الطبراني عنه في الأوسط مرفوعا (إن لله عز وجل لوحا من زبرجدة خضراء تحت العرش كتب فيه أنا الله لا إله إلا أنا أرحم الراحمين خلقت بضعة عشر وثلاث مئة خلق من جاء بخلق منها مع شهادة أن لا إله إلا الله دخل الجنة) وإسناده حسن[١] ولا منافاة بين قوله في الحديث المشروح "مئة" وقوله في الحديث "ثلاثمائة"، لأنا إن قلنا أن مفهوم العدد ليس بحجة فالقليل لا ينفي الكثير، وإلا فيمكن أن يقال إن منها مئة وسبعة عشر أصول والباقي متشعبة عنها داخلة تحتها فأخبر مرة بالأصول وأخرى بها وما تفرع عنها[٢].

وقد تقدم معنى الأخلاق في لغة العرب، وكذلك في الاصطلاح، وعند تأمل ذلك يلحظ أنه يتضمن معنى لا يليق بالله عز وجل، إن لم يتضمن قدحا فيه سبحانه وتعالى.

وبهذا يتبين لنا أن لفظ " الأخلاق " لا يصح أن تطلق على صفات الله عز وجل، إذ لم ترد في النصوص الشرعية لا في القرآن الكريم ولا في السنة النبوية، ولا في كلام الصحابة ولا سلف الأمة، كما أنها تحتمل معاني لا تليق بالله عز وجل.

---

(١) تقدم تخريجه انظر ص ٢٥

(٢) انظر فيض القدير شرح الجامع الصغير ٢/٦١٢-٦١٣

الفرع الخامس: صحة إطلاق لفظ " التخلق "

وفيها ثلاثة أمور:

للعلماء في إطلاق لفظ " التخلق " والتعبير به على الاقتداء بأسماء الله وصفاته اتجاهان:

الأول: جواز التعبير بذلك وعدم التحرج منه أو الامتناع عنه.

والآخر: رفض ذلك ومنعه، والتحذير من التعبير به، لما يتضمن من محاذير.

وتفصيل الكلام عن هذين الاتجاهين فيما يلي:

الأمر الأول: الاتجاه الأول: جواز التعبير به، وعدم الامتناع عنه:

هناك جملة من العلماء أطلقوا لفظ "التخلق بأخلاق الله". وهذه العبارة يمكن حملها على محملين، أحدهما صحيح سليم، والآخر فاسد باطل.

الأول: محمل صحيح سليم؛ وهو الحث على التخلق بمقتضى صفات الله وأسمائه وموجبها، وذلك بالنظر إلى الصفات التي يحسن من المخلوق أن يتصف بمقتضاها ؛ كالعلم والرحمة والحكمة والحلم والكرم والجود والعفو ونظائرها ؛ كما في حديث (إن الله طيب لا يقبل إلا طيبا)[١] وحديث (إن الله جميل يحب الجمال)[٢]. أما الصفات المختصة بالله فهذا شيء لا يمكن أن يتصف به المخلوق، ولا يجوز أن يدعيه، كالخلاق والرزاق والإله ونحو ذلك.[٣]

---

(١) رواه مسلم في صحيحه كتاب الزكاة باب قبول الصدقة من الكسب الطيب.. حديث رقم ١٠١٥

(٢) رواه مسلم في صحيحه كتاب الإيمان باب تحريك الكبر وبيانه حديث رقم ٩١

(٣) انظر مجموع فتاوى ومقالات متنوعة للشيخ ابن باز ١٣٣/١

الثاني: محمل فاسد باطل ؛ وهو محاولة الاتصاف بجميع صفات الله تعالى؛ سواء الصفات التي اختص بها الله عز وجل أو غيرها من الصفات، وذلك عملا وتشبها بالقاعدة الفلسفية "غاية الحكمة ونهاية الكمال الإنساني التشبه بالإله على قدر الطاقة ".

ومعظم من يدعو إلى هذه الدعوة ويقول بهذه العبارة هو على هذا المحمل، لظهور ذلك جليا عند تأمل نصوص كلامه وأقواله، فغايته التشبه بالإله، وسيأتي بيان هذا.(١)

وإليك بعض نصوص وأقوال من قال بهذه العبارة وهذا اللفظ:

تقدم قول الحكيم الترمذي(٢). قال الكلاباذي(٣) بقوله:. "وهذا الفناء هو الذي عبر عنه الحديث النبوي: (تخلقوا بأخلاق الله) ؛ وصوره الحديث القدسي: (كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به.)(٤) وبهذا الفناء يحس الصوفي إحساس ذوق ووجدان وقلب وروح بأن الله سبحانه معه وفي ضميره وحركاته وكلماته".(٥)

والغزالي أكثر من عبر عن صفات الله بأنها أخلاق، وتحدث عن ذلك، وأطلقه، وصرح به، وصنف فيه حتى عد أنه من أوائل من قال بذلك.

---

(١) انظر ص ٤١ من هذا البحث

(٢) انظر ص ٢٧ من هذا البحث

(٣) محمد بن إبراهيم بن يعقوب الكلاباذي البخاري، أبو بكر، من حفاظ الحديث، توفي:٣٨٠هـ، انظر: الأعلام ٥/ ٢٩٥

(٤) رواه البخاري كتاب الرقاق باب التواضع حديث رقم ٦٥٠٢

(٥) التعرف لمذهب أهل التصوف ص: ٥

ومن أقواله:

قال: "الفصل الرابع: في بيان أن كمال العبد وسعادته في التخلق بأخلاق الله تعالى، والتحلي بمعاني صفاته وأسمائه بقدر ما يتصور في حقه".[١]

وقال: "فالذي يذكر هو قرب العبد من ربه عز و جل في الصفات التي أمر فيها بالاقتداء والتخلق بأخلاق الربوبية حتى قيل تخلقوا بأخلاق الله، وذلك في اكتساب محامد الصفات التي هي من صفات الإلهية من العلم والبر والإحسان واللطف وإفاضة الخير والرحمة على الخلق والنصيحة لهم وإرشادهم إلى الحق ومنعهم من الباطل إلى غير ذلك من مكارم الشريعة فكل ذلك يقرب إلى الله سبحانه وتعالى لا بمعنى طلب القرب بالمكان بل بالصفات "[٢].

وقال: " اعلم أنه إنما حملني على ذكر هذه التنبيهات ردف هذه الأسامي والصفات قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: (تخلقوا بأخلاق الله تعالى)، وقوله عليه الصلاة والسلام إن لله كذا وكذا خلقا من تخلق بواحد منها دخل الجنة، وما تداولته ألسنة الصوفية من كلمات تشير إلى ما ذكرناه؛ لكن على وجه يوهم عند غير المحصل شيئا من معنى الحلول والاتحاد. وذلك غير مظنون بعاقل فضلا عن المتميزين بخصائص المكاشفات.

---

(١) المقصد الأسنى ص: ٤٥

(٢) إحياء علوم الدين ٣٠٦/٤

ولقد سمعت الشيخ أبا علي الفارمذي[1] يحكي عن شيخه أبي القاسم الكركاني[2] قدس الله روحهما أنه قال: إن الأسماء التسعة والتسعين تصير أوصافا للعبد السالك وهو بعد في السلوك غير واصل. وهذا الذي ذكره إن أراد به شيئا يناسب ما أوردناه فهو صحيح، ولا يظن به إلا ذلك ويكون في اللفظ نوع من التوسع والاستعارة، فإن معاني الأسماء هي صفات الله تعالى وصفاته لا تصير صفة لغيره، ولكن معناه أنه يحصل له ما يناسب تلك الأوصاف، كما يقال: فلان حصل علم أستاذه، وعلم الأستاذ لا يحصل للتلميذ بل يحصل له مثل علمه.

وإن ظن ظان أن المراد به ليس ما ذكرناه فهو باطل قطعا، فإني أقول:

قول القائل: إن معاني أسماء الله سبحانه وتعالى صارت أوصافا له؛ لا يخلو: إما أن يعني به عين تلك الصفات أو مثلها، فإن عنى به مثلها فلا يخلو: إما عنى به مثلها مطلقا من كل وجه، وإما أنه عنى به مثلها من حيث الاسم والمشاركة في عموم الصفات دون خواص المعاني، فهذان قسمان.

---

(١) الفارمذي أبو علي الفضل بن محمد الخراساني الإمام الكبير، شيخ الصوفية،، الواعظ. ولد: سنة ٤٠٧ وتوفي سنة ٤٧٧ هـ والفارمذي: ضبطت في الأصل بسكون الميم وضبطها السمعاني بفتح الراء والميم وضبطها ياقوت بسكون الراء وفتح الميم: وهي نسبة إلى فارمذ قرية من قرى طوس. ينظر الأنساب ٩ / ٢١٩، ٤٠٥ العبر ٣ / ٢٨٨ سير أعلام النبلاء ٥٦٥/١٨

(٢) الشيخ القدوة، عالم الزهاد، أبو القاسم، عبد الله بن علي بن عبد الله الطوسي الطبراني، الكركاني، ويعرف: بكركان. كان شيخ الصوفية والمشار إليه بالأحوال والمجاهدة. توفي سنة ٤٦٩ سير أعلام النبوة ٣٩٩/١٣

وإن عنى به عينها؛ فلا يخلو: إما أن يكون بطريق انتقال الصفات من الرب إلى العبد، أو لا انتقال. فإن لم يكن بالانتقال؛ فلا يخلو: إما أن يكون باتحاد ذات العبد بذات الرب حتى يكون هو هو فتكون صفاته، وإما أن يكون بطريق الحلول.

وهذه أقسام ثلاثة؛ وهو: الانتقال، والاتحاد، والحلول، وقسمان مقدمان. فهذه خمسة أقسام الصحيح منها قسم واحد؛ وهو: أن يثبت للعبد من هذه الصفات أمور تناسبها على الجملة وتشاركها في الاسم ولكن لا تماثلها مماثلة تامة كما ذكرناه في التنبيهات.."(١).

وقال شيخ الإسلام:رحمه الله: " ولهذا ضل من سلك سبيل هؤلاء فصار مقصودهم هو التشبه بالله واحتجوا بما يروون تخلقوا بأخلاق الله ,وصنف أبو حامد شرح أسماء الله الحسنى وضمنه التشبه بالله في كل اسم من أسمائه وسماه التخلق حتى في اسمه الجبار والمتكبر والإله ونحو ذلك من الأسماء التي ثبت بالنص والإجماع أنها مختصة بالله وأنه ليس للعباد فيها نصيب".(٢)

وممن عبر بالأخلاق عن الصفات ابن العربي رحمه الله حيث قال: "وأخلاق الله تعالى: هي كل صفة محمودة يكون الثناء عليها في الشريعة موجودا؛ كالتقوى والجود وكظم الغيظ والعفو؛ فهذه وأمثالها أخلاق الله، وأخلاق القرآن، وأخلاق النبي صلى الله عليه وسلم؛

---

(١) المقصد الأسنى ص: ١٥٠-١٥١

(٢)الصفدية ٢/٣٣٧

أي: الأخلاق التي مدح الله، وورد الثناء عليها في القرآن، وكان عليها الأنبياء عليهم السلام؛ كما يقال في المساجد: بيوت الله؛ أي: عظمها الله ودعا إلى قال فيها".[1]

وممن عبر بالتخلق بصفات الله، وفصل القول فيها، وذكر كيفية التخلق ببعض الصفات العز بن عبدالسلام[2] رحمه الله في كتابة شجرة المعرفة حيث قال في فصل في آداب القرآن: "أخلاق القرآن ضربان: أحدهما: التخلق بخصائص العبودية كالذل والإذعان، والثاني: التخلق ببعض صفات الربوبية كالعدل والإحسان، فإن صفات الإله ضربان، أحدهما: مختص به كالأزلية والأبدية و الغني عن الأكوان،

والثاني: يمكن التخلق به، وهو ضربان: أحدهما: لا يجوز التخلق به كالعظمة والكبرياء.

والثاني: وردت الشريعة بالتخلق به كالجود والحياء والحلم والوفاء، فالتخلق بذلك على حسب الإمكان

مرض للرحمن، مرغم للشيطان، ويدل على ذلك التخلق بآيات القرآن واتفاق أهل المعرفة والإيمان".

---

(١) انظر: الأمد الأقصى ١/٢٣١

(٢) عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم السلمي، المشهور بالعز بن عبد السلام، توفي سنة ٦٦٠ هـ ينظر طبقات الشافعية: ٨/٢١٤، البداية والنهاية: ١٣/ ٢٦٤، العبر للذهبي: ٥/٢٦٠، شذرات الذهب: ٥/ ٣٠٢

ثم عقد بابا في التخلق بصفات الرحمن على حسب الإمكان، وفيه فصل: "لا يصلح لولاية الديان من لم يتأدب بآداب القرآن، ولم يتخلق بصفات الرحمن على حسب الإمكان".

وعقد بابا في كيفية التخلق بالأسماء والصفات، وقال: "لكل تخلق رتب و درجات متفاوتات، وينقسم أكثر التخلق إلى فرض عين وسنة وفرض كفاية، فانظر إلى أسمائه الحسن، وتخلق من كل اسم منها بمقتضاه على حسب الإمكان" ثم ذكر أقسام أسماء الله وصفاته، وبين أن منها ما يتخلق به ن ومنها مالا لا يمكن التخلق به. ثم عقد لكل صفة من صفات الله فصلا في كيفية التخلق بها.(١)

وتكلف الشريف التلمساني(٢) بجعل التخلق باسمه الخالق في النكاح بأنه خلافة ربانية في إيجاد الأشخاص الإنسانية، ولا يخفى على عاقل أن هذا الخلق المزعوم موجود في البهائم وسائر الحيوانات. قال التلمساني: "...في النكاح خلافة ربانية في إيجاد الأشخاص الإنسانية، وذلك بالتخلق باسمه الخالق، ولذلك ذهب الحنفية والحنابلة إلى أنه أفضل من التحلي بنوافل الطاعات، وروي أنه في الفضل أكمل من حفظ الموجود كإنقاذ الهلكى، لأن الإيجاد أنفع من الإبقاء وأقوى في التشبه بالخلق الإلهي،

---

(١) انظر شجرة المعارف: ص: ١٤، ٢٢، ٣١-٤٢

(٢) محمد بن أحمد بن علي الإدريسي الحسني، أبو عبد الله العلويني المعروف بالشريف التلمساني،من علماء المالكية، توفي سنة ٧٧١ هـ. ينظر الأعلام ٣٢٧/٥

وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (تخلقوا بأخلاق الله). وفي هذا زلت أحبار اليهود إذ قدحوا في النبوة بعد الكمال تقليدا لقدماء الفلاسفة في الرغبة عن النكاح، نظرا منهم إلى استغناء الإنسان عنه في بقائه الشخصي، قالوا بخلاف الطعام والشراب، وما شعروا أن الإيجاد أقوى في التشبه بالخلق الإلهي من الإبقاء، ولسنا نعني بالإيجاد الحقيقة، بل أقوى درجات الإعداد تسمى إيجادا مجازا، أما الإيجاد الحقيقي فلا يتأتى من الممكن، إذ لو خلى رسوم ذاته لم يستحق الوجود لما في الإمكان من الطبيعة العدمية فكيف تقيده".(١)

وقال الشاطبي(٢) رحمه الله: "وقسم هو مأخوذ من عادة الله تعالى في إنزاله، وخطاب الخلق به، ومعاملته لهم بالرفق والحسنى، من جعله عربيا يدخل تحت أفهامهم، مع أنه المنزه القديم، وكونه تتنزل عليهم بالتقريب والملاطفة والتعليم في نفس المعاملة به، قبل النظر إلى ما حواه من المعارف والخيرات، وهذا نظر خارج عما تضمنه القرآن من العلوم، ويتبين صحة الأصل المذكور في كتاب الاجتهاد، وهو أصل التخلق بصفات الله والاقتداء بأفعاله".

وقال بعد أن ذكر أمثلة من القرآن:" إن هذه الأمثلة وما جرى مجراها لم يستفد الحكم فيها من جهة وضع الألفاظ للمعاني، وإنما استفيد من جهة أخرى، وهي جهة الاقتداء بالأفعال".

---

(١) المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى إفريقيا والمغرب في فقه النوازل ٨/ ٤٩٢

(٢) أبو إسحاق إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي المالكي، الشهير بالشاطبي، توفي سنة٧٩٠هـ. ينظر: الأعلام، للزركلي٧٥/١، موسوعة مواقف السلف في العقيدة، لأبي سهل المغراوي ٨/٤٠٤

وقال: "ومن ذلك أشياء ذكرت في باب الاجتهاد في الاقتداء بالأفعال والتخلق بالصفات".[1]

كما استخدم المناوي رحمه الله في كتابه التيسير كلمة تخلق في مواضع كثيرة عند ذكر الصفات التي وصف الله بها وأن الله يحب تلك الصفة نحو إن الله جميل يحب الجمال سخي يحب السخاء نظيف يحب النظافة، ونحوها من الألفاظ.[2]

***

(١) الموافقات: ٣/ ٣٧٧، ٢/١٦٣-١٦٩، ٤/٢٠٣-٢٠٤

(٢) انظر التيسير بشرح الجامع الصغير ١/١٤١، ٥٠٥، ٥٠٥،ة ٥٢٩،٥٢٢، ٥٤١، ٥٤٣، ٧٥٤، ٩٩٦، ٢/١٣٥ وغيرها.

وممن قال بذلك: السهروردي في عوارف المعارف ١/١٩٣، والسيوطي في شرح سنن ابن ماجه، والرازي في أساس التقديس وملا علي القاري في مرقاة المفاتيح والشعراوي في أسماء الله الحسنى ص ٩، ١١٤، والجرجاني في تعريفه للفلسفة ص٢١٦، والكاشاني في اصطلاحات الصوفية ص ١١٤، وعموما العبارة مشهورة ومتداولة فدى الصوفية في كتبهم.

الأمر الثاني: الاتجاه الثاني: رفض ذلك ومنعه، والتحذير من التعبير به، لما يتضمن من محاذير

ذهب جملة من العلماء من أئمة أهل السنة والجماعة إلى منع التعبير بلفظ التخلق بصفات الله، إذ هذا اللفظ يراد به حقيقة التشبه بصفات الله، لكن لتلطيف معنى التشبيه يعبر بالتخلق بأخلاق الله، وممن ذهب إلى هذا وبين بطلان التعبير به وأنه مسلك المشبهة وأهل الحلول والاتحاد من المتفلسفة من الملاحدة ومن وافقهم مايلي:

ابن تيمية رحمه الله حيث قال: "وأصل المتفلسفة أن الفلسفة التي هي الكمال عندهم هي التشبه بالإله على قدر الطاقة، وهم يقولون: إن حركات الأفلاك لأجل التشبه بالأول.

وعلى هذا بنى أبو حامد كتابه في شرح الأسماء الحسنى، وتخلق العبد بأخلاق الله، وأنكر ذلك عليه المازري وغيره، وقالوا: ليس لله خلق يتخلق به العبد.

وعدل أبو الحكم بن برجان عن لفظ التخلق إلى لفظ التعبد.

وعلى هذا الأصل الفلسفي بنى ابن عربي معنى ولي الله، وأنه المتشبه به المتخلق بأخلاقه، كما يفسر أبو حامد التقرب من الله بالتشبه به، وابن عربي ونحوه يجعلون الولي أفضل من النبي بناء على أصولهم الفلسفية الاتحادية."(١)

وقال في موضع آخر:" ولهذا ضل من سلك سبيل هؤلاء فصار مقصودهم هو التشبه بالله واحتجوا بما يروون تخلقوا بأخلاق الله.

---

(١) شرح كلمات الشيخ عبد القادر الكيلاني من فتوح الغيب ص٨٣

وصنف أبو حامد شرح أسماء الله الحسنى وضمنه التشبه بالله في كل اسم من أسمائه وسماه التخلق حتى في اسمه الجبار والمتكبر والإله ونحو ذلك من الأسماء التي ثبت بالنص والإجماع أنها مختصة بالله وأنه ليس للعباد فيها نصيب كقول النبي صلى الله عليه و سلم في الحديث الصحيح الذي رواه مسلم وغيره يقول الله تعالى: (العظمة إزاري والكبرياء ردائي فمن نازعني واحدا منهما عذبته)(١).

وسلك هذا المسلك ابن عربي وابن سبعين(٢) وغيرهما من ملاحدة الصوفية وصار ذلك مع ما ضموا إليه من البدع والإلحاد موقعا لهم في الحلول والإتحاد"(٣)

وقال: " وهذا قد طَرَده بعضُ الناس كأبي حامد الغزالي وغيره، وجعلوا العبدَ يتصف بالجبار والمتكبر على وجهٍ فسروه وجعلوا ذلك تَخَلُّقًا بأخلاق الله، ورووا حديثًا "تَخَلَّقوا بأخلاق الله"، وأنكر ذلك عليهم آخرون كأبي عبد الله المازَرِي(٤)

---

(١) أخرجه أبو داود٤٠٩٠، وابن ماجه ٤١٧٤، وأحمد ٧٣٨٢، وصححه الألباني، صحيح أبي داود ٢/ ٧٧٠

(٢) عبد الحق بن إبراهيم بن محمد بن نصر بن سبعين الاشبيلي المرسي، أحد الفلاسفة المتصوفة وهو من القائلين بوحدة الوجود. قال ابن دقيق العيد: "جلست مع ابن سبعين من ضحوة إلى قريب الظهر، وهو يسرد كلاما تعقل مفرداته ولا تعقل مركباته". توفى سنة ٦٦٩ هـ، ينظر ترجمته: العبر: ٥ / ٢٩١، فوات الوفيات: ٢/ ٢٥٣، لسان الميزان: ٣ / ٣٩٢، شذرات الذهب: ٥ / ٣٢٩.

(٣) الصفدية ٢/٣٣٧

(٤) المازري أبو عبد الله، محمد بن علي بن عمر بن محمد التميمي المازري المالكي. الشيخ الإمام العلامة البحر المتفنن، مصنف كتاب " المعلم بفوائد شرح مسلم " قال الذهبي : "ولصاحب الترجمة تأليف في الرد على "الاحياء" وتبيين ما فيه من الواهي والتفلسف، أنصف فيه، رحمه الله"

وغيره؛ وقالوا: ليس للرب خلق يتخلَّقُ به العبد. وقالوا هذه فلسفة كُسِيَت عباءة الإسلام، وهو معنى قول الفلاسفة: الفلسفة التشبه بالإله على قدر الطاقة. وبالجملة فالاتصاف والتخلُّق والتعبُّد بما أحبَّ الله من العباد الاتصاف به وهو من صفاته كالعلم والرحمة والإحسان والجمال الشرعي ونحو ذلك هو حق كما دلَّ عليه الكتاب والسنة بخلاف الكبرياء ونحوه، فإنه قد ثبت في الصحيح أن الله يقول:(العَظَمَةُ إزاري والكِبْرِياءُ رِدَائي فمنْ نازعني واحدةً مِنْها عَذَّبْتُه)"[١]

وقال ابن القيم رحمه الله مبينا فساد هذا اللفظ، وأن هناك ألفاظ أولى منه، كما بين رحمه الله رتبة هذا اللفظ مقارنا بالألفاظ التي تقاربه، فقال: " وهذه العبارة – أي الدعاء- أولى من عبارة من قال يتخلق بأسماء الله فإنها ليست بعبارة سديدة وهي منتزعة من قول الفلاسفة بالتشبه بالإله على قدر الطاقة.

وأحسن منها عبارة أبي الحكم بن برهان وهي التعبد.

وأحسن منها العبارة المطابقة للقرآن وهي الدعاء المتضمن للتعبد والسؤال.

فمراتبها أربعة أشدها إنكارا عبارة الفلاسفة وهي التشبه وأحسن منها عبارة من قال التخلق وأحسن منها عبارة من قال التعبد وأحسن من الجميع الدعاء وهي لفظ القرآن ".[٢]

توفي سنة ٥٣٦ هـ ينظر سير أعلام النبلاء ٢٠-١٠٤، وفيات الاعيان " ٤ / ٢٨٥، الإمام المازري لعبد الوهاب حسن حسني.

(١) كتاب الرد على الشاذلي في حزبيه وما صنفه في آداب الطريق ص ٩٦

(٢) بدائع الفوائد ١٧٢/١

وقال: " قوله "وتلبس نعوت القدس" القدس هو النزاهة والطهارة ونعوت القدس هي صفاته فيلبسه الحق سبحانه من تلك النعوت ما يليق به واستعار لذلك لفظة اللبس فإن تلك الصفات خلع وخلع الحق سبحانه وتعالى يلبسها من يشاء من عباده.

وهذا موضع يتوارد عيه الموحدون والملحدون:

فالموحد يعتقد أن الذي ألبسه الله إياه هو صفات جمل الله بها ظاهره وباطنه وهي صفات مخلوقه ألبست عبدا مخلوقا فكسى عبده حلة من حلل فضله وعطائه.

والملحد يقول كساه نفس صفاته وخلع عليه خلعة من صفات ذاته حتى صار شبيها به بل هو هو. ويقولون الوصول هو التشبه بالإله على قدر الطاقة وبعضهم يلطف هذا المعنى ويقول بل يتخلق بأخلاق الرب ورووا في ذلك أثرا باطلا تخلقوا بأخلاق الله، وليس ههنا غير التعبد بالصفات الجميلة والأخلاق الفاضلة التي يحبها الله ويخلقها لمن يشاء من عباده، فالعبد مخلوق وخلعته مخلوقة وصفاته مخلوقة والله سبحانه وتعالى بائن بذاته وصفاته عن خلقه لا يمازجهم ولا يمازجونه ولا يحل فيهم ولا يحلون فيه تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا. "(١)

قال ابن أبي العز الحنفي(٢) رحمه الله: " ثم يقولون – أي غلاة نفاة الصفات -: أصل الفلسفة هي التشبيه بالإله على قدر الطاقة، ويجعلون هذا غاية

---

(١) مدارج السالكين ٢٤١/ ٣

(٢) صدر الدين محمد بن علاء الدين علي بن محمد بن محمد بن أبي العز الحنفي الصالحي، توفي سنة ٧٩٢هـ. ينظر: شذرات الذهب في أخبار من ذهب لابن العماد الحنبلي، ٥٥٧/٨.

الحكمة ونهاية الكمال الإنساني. ويوافقهم على ذلك بعض من يطلق هذه العبارة، ويروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (تخلقوا بأخلاق الله)، فإذا كانوا ينفون الصفات، فبأي شيء يتخلق العبد على زعمهم ؟ "[١]

وقال ابن باز[٢] رحمه الله عندما سئل عن الحث على الاتصاف بصفات الله والتخلق بأخلاقه.

فأجاب رحمه الله: هذا التعبير غير لائق، ولكن له محمل صحيح، وهو الحث على التخلق بمقتضى صفات الله وأسمائه وموجبها، وذلك بالنظر إلى الصفات التي يحسن من المخلوق أن يتصف بمقتضاها، بخلاف الصفات المختصة بالله كالخلاق والرزاق والإله ونحو ذلك، فإن هذا شيء لا يمكن أن يتصف به المخلوق، ولا يجوز أن يدعيه، وهكذا ما أشبه هذه الأسماء."[٣].

وقال الشيخ صالح آل الشيخ[٤] حفظه الله: " امتثال العبد لصفات الله جل وعلا وتأثره بذلك وإتيانه بها، الناس فيها ما بين جافٍ وغالٍ، وأما أهل السنة فإنهم أثبتوا ذلك على ما جاء في النصوص.

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية ١/١٨١-١٨٢

(٢) عبد العزيز بن عبد الله بن عبد الرحمن آل باز، الشيخ الإمام البحر العلامة، ولد سنة ١٣٣٠ هـ، وتوفي سنة ١٤٢٠هـ. ينظر: مجموع فتاوى ابن باز، ١/٩، جوانب من سيرة ابن باز لمحمد الحمد، ص، ١٢موسوعة مواقف السلف في العقيدة، لأبي سهل المغراوي١٠/٣٠٢

(٣) مجموع فتاوى ومقالات متنوعة للشيخ ابن باز ٦ / ٢٥١

(٤) صالح بن عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم بن عبد اللطيف آل الشيخ صاحب المعالي الشيخ العلامة، وزير الشؤون الإسلامية السابق، ولد في مدينة الرياض سنة ١٣٧٨هـ

بيان ذلك: أن الصوفية والفلاسفة - يعني غلاة الصوفية والفلاسفة - يقولون إن الفلسفة هي التخلق بصفات الله على قدر الطاقة، التخلق بصفات الله، هكذا يجعلون الفلسفة اللي هي عندهم أعلى الحكمة، عند الصوفية أن صفات الله جل وعلا تُمتثل وسواء في ذلك الصفات التي هي راجعة إلى الجمال أم الصفات التي هي راجعة إلى الجلال أم الصفات التي هي راجعة إلى الربوبية أم الصفات التي هي راجعة إلى الألوهية".[1]

وبهذا يتبين لنا أن القول بالتخلق بأخلاق الله مآله الوقوع بالتشبيه، بل في الحلول والاتحاد، إضافة إلى تعطيل أسماء الله وصفاته عن حقيقتها ومعناها الصحيح المراد به، ولذا حذر علماء أهل السنة والجماعة من استعمال هذا اللفظ، وأنكروا على من قال به.

***

(١) شرح الواسطية ص ١٤٣

الأمر الثالث: نقد عبارة: "التخلق بأخلاق الله"

نقد العلماء والباحثون عبارة " تخلق العبد بأخلاق الله" من أوجه كثيرة، يمكن تصنيفها من جانبين:

الأول: من الجانب الشرعي، وذلك بعدم ثبوتها ومخالفتها للنصوص الشرعية، ومخالفتها للمنهج الصحيح السليم للاعتقاد ووقوع القائلين بها في التناقض في ما يعتقدونه.

الثاني: من جانب أصل المقالة ومنبعها، وارتباطها بالفلسفة اليونانية، و تأثرها بها.

وهذه بعض أوجه نقد العبارة:

١. أن نسبة "الخُلق" لله عز وجل لم ترد لا في الكتاب ولا في السنة – وقد تقدم بيان ذلك –والواجب على المسلم أن يتقيد في حديثه عن الله تعالى بما ثبت بالنصوص الشرعية، لأن الأصل في ما لم يثبت في الكتاب ولا في السنة التوقف.

٢. وردت عدة أحاديث في نسبة الخُلُق إلى الله، وكلها لا تثبت إما أن تكون ضعيفة أو موضوعة لا أصل لها – وقد تقدم بيان ذلك–.

٣. أن من أجاز ذلك وقال به كان معتمدا على حديث: (تخلقوا بأخلاق الله)، وهو حديث "لا أصل له في كتب السنة[1] قال شيخ الإسلام ابن

(١) تقدم بيان ذلك انظر ص ٢٢

تيمية رحمه الله: "لا يعرف عن النبي صلى الله عليه وسلم بل هو من باب الموضوعات."[1]

٤. حديث (تخلقوا بأخلاق الله)، مع عدم ثبوته وكونه لا أصل له، فإنه أيضا ظاهر البطلان؛ فليس كل صفات الله مطلوب من العبد الاتصاف بها، فمن صفات الله ما لا يجوز للعبد التخلق به إذ هناك صفات اختص بها الله عز وجل لا ينازعه فيها أحد، ومن الضلال والانحراف منازعة الله فيها.

قال ابن تيمية رحمه الله:"والإله ونحو ذلك من الأسماء التي ثبت بالنص والإجماع أنها مختصة بالله وأنه ليس للعباد فيها نصيب كقول النبي صلى الله عليه و سلم في الحديث الصحيح الذي رواه مسلم وغيره (يقول الله تعالى العظمة إزاري والكبرياء ردائي فمن نازعني واحدا منهما عذبته(. وسلك هذا المسلك ابن عربي وابن سبعين وغيرهما من ملاحدة الصوفية وصار ذلك مع ما ضموا إليه من البدع والإلحاد موقعا لهم في الحلول "[2].

٥. القول بالاقتداء بأفعال الله تعالى مع ما يترتب عليه من مفسدة الحلول والتشبه مخالف لمقتضى أوامر الشرع، حيث دلت النصوص الشرعية على وجوب لزوم طريقة الرسول صلى الله عليه وسلم في العلم والاعتقاد والعمل والقول، وأن ذلك هو ميزان الإيمان. فالعبد مأمور شرعا بالاقتداء بالرسول صلى الله عليه وسلم فيما لا يختص به، لا بأفعال الله. قال تعالى: {لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر

---

(١) تلبيس الجهمية ٥١٨/٦

(٢) الصفدية ص ٦٧٨

الله كثيرا}[1]، قال ابن كثير-رحمه الله-: "هذه الآية أصل كبير في التأسي برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في أقواله وأفعاله وأحواله"[2][3].

٦. اتّفاق أهلِ السّنّةِ على أنّ القياسَ لا يجري في التّوحيدِ إن أفضى إلى تشبيهِ الخالقِ بالمخلوقِ، فإنَّ اللهَ تعالى ليس كمثلِه شيءٌ، فلا يجوز أن يُمَثَّلَ بغيرِه. قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "وبالجملة ففعل الرب لا يقاس بأفعال العباد، بل من أعظم الأصول التي أنكرها أهل السنة على المعتزلة ونحوهم من القدرية قياس أفعال الرب على أفعال العباد وبالعكس؛ وقالوا: هم مُشَبِّهة الأفعال، فإنهم يجعلون الحسن من العبد والقبيح منه حسنًا من الرب وقبيحًا منه، وليس الأمر كذلك؛ فإنَّ الله ليس كمثله شيء لا في ذاته ولا في صفاته ولا أفعاله. والله تعالى يحب من العباد أمورًا اتصف بها كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: "إن الله وَتْرٌ يُحبُّ الوَتْر"، وقال: "إنهُ جميلٌ يُحِبُّ الجَمَالَ"..... فهو يحب اتصاف العبد بهذه الصفات وتعَبّده بهذه المعاني المحبوبة. وهذا قد طَرَده بعضُ الناس كأبي حامد الغزالي وغيره، وجعلوا العبدَ يتصف بالجبار والمتكبر على وجهٍ فسروه وجعلوا ذلك تَخَلُّقًا بأخلاق الله، ورووا حديثًا "تَخَلَّقوا بأخلاق الله"، وأنكر ذلك عليهم آخرون كأبي عبد الله المازَرِي وغيره؛ وقالوا: ليس للرب خلق يتخلَّقُ به العبد. وقالوا هذه

---

(١) الأحزاب: ٢١

(٢) تفسير ابن كثير٣/ ٤٧٣

(٣) انظر محظورية القول بالتخلق بأسماء الله والتشبه بصفاته والاقتداء بأفعاله مقال في النت لمحمد علي فركوس في موقع خاص بالمؤلف

فلسفة كُسِيَت عباءة الإسلام، وهو معنى قول الفلاسفة: الفلسفة التشبه بالإله على قدر الطاقة".[1]

٧. أن من يقول بتخلق العبد بأخلاق الله، هم من المتكلمين ومن متفلسفة الصوفية، وهو بهذا القول متناقضون فيما يقولونه من اعتقاد في هذا:

- حيث إنهم لا يقبلون حديث الآحاد حتى لو كان في الصحيح، فهم يرفضونه ولا يستدلون به في مسائل العقيدة، بينما هم هنا يقررون عقيدة بمثل هذا الحديث الذي لا أصل له.
- كما أنهم متناقضون من حيث إنهم يعطلون صفات الله عز وجل بحجة تنزيه الخالق عن التشبيه بالمخلوق، بينما هم هنا يدعون إلى المخلوق بالتخلق بأخلاق الخالق، مع نفيهم للصفات وتعطيلها، وكما قال ابن أبي العز الحنفي: " فإذا كانوا ينفون الصفات، فبأي شيء يتخلق العبد على زعمهم ؟ "[2] قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في معرِضِ الرّدِّ على الفلاسفةِ وأتباعِهم: " ثمَّ من العجبِ أنّ القومَ يدَّعونَ التَّوحيدَ، ويبالغونَ في نفيِ التّشبيهِ حتى نَفَوُا الصّفاتِ، وشنّعوا على أهلِ الكتابِ لِما جاء من الصّفاتِ في التّوراةِ وغيرِها، وأنكروا قولَه في التّوراةِ: (إنَّا سَنَخْلُقُ بَشَرًا عَلَى صُورَتِنَا يُشْبِهُنَا»، وهُمْ يدّعون أنّ أحدَهم يجعلُ نفْسَه شبيهًا لله،)[3].

(١) الرد على الشاذلي ص٩٥-٩٧

(٢) شرح العقيدة الطحاوية ١/١٨١-١٨٢

(٣) الصّفديّة ٢/ ٣٣٦

٨. وبناء على ما تقدم لا يبعد عن الصحة القول بأن مقصود هؤلاء ودافعهم ليس هو اتباع الحديث والاقتداء به، بل هو التأثر بالفلسفة، واتباعها والتشبه بها.

٩. عبارةِ التّخلُّقِ بأسماءِ اللهِ والتّشبّهِ بصفاتِه غيرُ سديدةٍ، وهي منتزَعةٌ من قول الفلاسفة بالتشبه بالإله على قدر الطاقة" كما ذكر ابن القيم رحمه الله.[١]

١٠. أن المقولة فكرة يونانية قديمة كان أول من قال بها أفلاطون في محاورة "تيتاتوس".[٢]

١١. هناك ارتباط بين مقولة " التخلق بأخلاق الله" وبين القاعدة الفلسفية " غاية الحكمة ونهاية الكمال الانساني التشبه بالإله على قدر الطاقة " يقول الجرجاني في تعريف الفلسفة: "الفلسفة التشبه بالإله بحسب الطاقة البشرية لتحصيل السعادة الأبدية كما أمر الصادق في قوله تخلقوا بأخلاق الله أي تشبهوا به في الإحاطة بالمعلومات والتجرد عن الجسمانيات"[٣] ولذا قالوا في التصوف: التخلق بأخلاق الله، والتشبه بالإله".

وبهذا يتبين من خلال العرض السابق فساد القول بالتخلق بأخلاق الله وبطلانها، وأنه لا أصل لها في النصوص الشرعية، وأن مصدره ومنبعه التأثر بالفلسفة والفلاسفة في قاعدتهم أن الكمال الإنساني بحسب التشبه بالإله.

---

(١) انظر بدائع الفوائد ١/١٧٢

(٢) ينظر لمحة عن عقيدة التخلق بأخلاق الله مقال في موقع ملتقى أهل التفسير.

(٣) التعريفات ص ٢١٦

الفرع السادس: صلة هذا اللفظ بتشبه المخلوق بصفات الخالق.

مع –كما تقدم – أن هذه العبارة تتضمن محاذير عقدية مخالفة لمنهج أهل السنة والجماعة في أسماء الله وصفاته، كعدم ثبوت إطلاق لفظ "الخُلق على صفات الله عز وجل، وأن ما ورد من روايات في التخلق وأخلاق الله عز وجل فهي غير ثابتة فهي ضعيفة أو موضوعة، مع هذه المحاذير فهناك محذور آخر أهم وأعظم وهو القول بالتشبيه، والوقوع في تشبيه المخلوق بالخالق، وقد تقدم بيان أن عبارة " التخلق بأخلاق الله " لها محملان، أحدهما صحيح وهو الحث على التخلق بمقتضى صفات الله وأسمائه التي يحسن من المخلوق أن يتصف بمقتضاها وموجبها. والآخر فاسد وهو محاولة الاتصاف بجميع صفات الله تعالى؛ سواء الصفات التي اختص بها الله عز وجل أو غيرها من الصفات، أي التشبه بالله عز وجل.

وسيتبين من خلال النصوص التالية أن المحمل الثاني هو المراد لدى الكثير ممن قال ودعا إلى التخلق بأخلاق الله عز وجل.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "ولهذا ضل من سلك سبيل هؤلاء فصار مقصودهم هو التشبه بالله واحتجوا بما يروون تخلقوا بأخلاق الله. وصنف أبو حامد شرح أسماء الله الحسنى وضمنه التشبه بالله في كل اسم من أسمائه وسماه التخلق حتى في اسمه الجبار والمتكبر والإله ونحو ذلك من الأسماء التي ثبت بالنص والإجماع أنها مختصة بالله وأنه ليس للعباد فيها نصيب كقول النبي صلى الله عليه و سلم في الحديث الصحيح الذي رواه مسلم وغيره يقول الله تعالى: (العظمة إزاري والكبرياء ردائي فمن نازعني واحدا منهما عذبته).

وسلك هذا المسلك ابن عربي وابن سبعين وغيرهما من ملاحدة الصوفية وصار ذلك مع ما ضموا إليه من البدع والإلحاد موقعا لهم في الحلول والإتحاد"[١].

وقال: " وأصل المتفلسفة أن الفلسفة التي هي الكمال عندهم هي التشبه بالإله على قدر الطاقة، وهم يقولون: إن حركات الأفلاك لأجل التشبه بالأول. وعلى هذا بنى أبو حامد كتابه في شرح الأسماء الحسنى، وتخلق العبد بأخلاق الله.... وعلى هذا الأصل الفلسفي بنى ابن عربي معنى ولي الله، وأنه المتشبه به المتخلق بأخلاقه، كما يفسر أبو حامد التقرب من الله بالتشبه به، وابن عربي ونحوه يجعلون الولي أفضل من النبي بناء على أصولهم الفلسفية الاتحادية."[٢]

وقال: " ثم أعجب من هذا كله أنكم تقولون: الفلسفة هي التشبه بالإله على قدر الطاقة ومن هنا دخل من وافقكم في إثبات تشبه العبد بالرب في الذات والصفات والأفعال كصاحب الكتب المضنون بها على غير أهله – للغزالي – ومن مشى خلفه من القائلين بالوحدة المطلقة والاتحاد وقالوا: إن الإنسان مثل الله وأن قوله: { ليس كمثله شيء }[٣] المراد أنه ليس كالإنسان الذي هو مثل الله شيء ويقولون إن الفلك إنما يتحرك تشبها بما فوقه فيجعلون العبد قادرا على أن يتشبه بالله وأن الفلك يتشبه بالله أو يتشبه بالعقل المشبه لله... ".

---

(١) الصفدية ٣٣٧/٢

(٢) شرح كلمات الشيخ عبد القادر الكيلاني من فتوح الغيب ص٨٣

(٣) الشورى ١١

ثم بين أن تشبه هؤلاء أنكر من التشبه الذي وقع فيه أهل الكتاب فقال: " فتشبيهكم أنكر من تشبيه أهل الكتاب لأنكم جعلتم العبد قادرا على أن يتشبه بالرب وأولئك أخبروا عن الرب أنه قادر على أن يخلق ما يشبهه"(١).

وقال ابن القيم رحمه الله: قوله وتلبس نعوت القدس، القدس هو النزاهة والطهارة ونعوت القدس هي صفاته فيلبسه الحق سبحانه من تلك النعوت ما يليق به واستعار لذلك لفظة اللبس فإن تلك الصفات خلع وخلع الحق سبحانه وتعالى يلبسها من يشاء من عباده. وهذا موضع يتوارد عيه الموحدون والملحدون:

فالموحد يعتقد أن الذي ألبسه الله إياه هو صفات جمل الله بها ظاهره وباطنه وهي صفات مخلوقه ألبست عبدا مخلوقا فكسى عبده حلة من حلل فضله وعطائه.

والملحد يقول كساه نفس صفاته وخلع عليه خلعة من صفات ذاته حتى صار شبيها به بل هو هو ويقولون الوصول هو التشبه بالإله على قدر الطاقة، وبعضهم يلطف هذا المعنى ويقول بل يتخلق بأخلاق الرب ورووا في ذلك أثرا باطلا تخلقوا بأخلاق الله. وليس ههنا غير التعبد بالصفات الجميلة والأخلاق الفاضلة التي يحبها الله ويخلقها لمن يشاء من عباده.

فالعبد مخلوق وخلعته مخلوقة وصفاته مخلوقة والله سبحانه وتعالى بائن بذاته وصفاته عن خلقه لا يمازجهم ولا يمازجونه ولا يحل فيهم ولا يحلون فيه تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا."(٢)

---

(١) انظر درء التعارض ٢/٣٥٥

(٢) مدارج السالكين ٣/٢٤١

المطلب الثالث: بيان وجه صحة لفظ كل من: الدعاء والتعبد، وفيه مسألتان:

المسألة الأولى: تقديم لفظ الدعاء:

كما تقدم فابن القيم رحمه الله صوب إطلاق لفظ الدعاء والتعبد، وأشار إلى أن لفظ الدعاء أفضل وأولى من سائر العبارات، ويمكن تعليل ذلك من خلال أمرين، هما:

١- أن لفظ الدعاء هو اللفظ المطابق لما ورد في القرآن الكريم، حيث قال تعالى: { وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ }(١)، وقال سبحانه: { وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ }(٢)، عن النعمان بن بشير, قال: سمعت النبيّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم يقول: (الدُّعاءُ هُوَ العبادَةُ) ثم قرأ: { ادعوني أستجب لكم إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين}"(٣)(٤)

٢- أن لفظ الدعاء شامل لنوعي الدعاء التعبد والمسألة، إذ الدعاء على نوعين عبادة ومسألة.

---

(١) الأعراف ١٨٠

(٢) غافر ٦٠

(٣) رواه أحمد ٤/ ٢٦٧، ٢٧١، وأبو داود ٢/ ٧٦، والترمذي ٥/ ٢١١، وابن ماجه ٢/ ١٢٥٨،قال الترمذي: حديث حسن صحيح، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (١٣٢٩).

(٤) القواعد الحسان٥١

وقد بين شيخ الإسلام ابن تيمية أن آيات الدعاء في القرآن الكريم شاملة لنوعي الدعاء دعاء المسألة ودعاء العبادة، حيث قال في قول الله عزّ وجلّ: {ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ * وَلاَ تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاَحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ}(١):

هاتان الآيتان مشتملتان على آداب نوعَي الدُّعاء: دعاء العبادة، ودعاء المسألة:

فإنّ الدُّعاء في القرآن يراد به هذا تارةً وهذا تارةً، ويراد به مجموعهما ؛ وهما متلازمان ؛ فإنّ دعاء المسألة: هو طلب ما ينفع الدّاعي، وطلب كشف ما يضره ودفعِه،... فهو يدعو للنفع والضرِّ دعاءَ المسألة، ويدعو خوفاً ورجاءً دعاءَ العبادة ؛ فعُلم أنَّ النَّوعين متلازمان ؛ فكل دعاءٍ عبادةٍ مستلزمٌ لدعاءِ المسألة، وكل دعاءٍ مسألةٍ متضمنٌ لدعاءِ العبادة.

وعلى هذا فقوله: {وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ}(٢) يتناول نوعي الدُّعاء... وبكل منهما فُسِّرت الآية. قيل: أُعطيه إذا سألني، وقيل: أُثيبه إذا عبدني، والقولان متلازمان.

وليس هذا من استعمال اللفظ المشترك في معنييه كليهما، أو استعمال اللفظ في حقيقته ومجازه ؛ بل هذا استعماله في حقيقته المتضمنة للأمرين جميعاً.

فتأمَّله ؛ فإنّه موضوعٌ عظيمُ النّفع، وقلَّ ما يُفطن له، وأكثر آيات القرآن دالَّةٌ على معنيين فصاعداً، فهي من هذا القبيل.

---

(١) الأعراف ٥٥-٥٦

(٢) البقرة ١٨٦

ومن ذلك قوله تعالى: {قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلاَ دُعَاؤُكُمْ}(١) أي: دعاؤكم إياه، وقيل: دعاؤه إياكم إلى عبادته، فيكون المصدر مضافاً إلى المفعول، ومحل الأول مضافاً إلى الفاعل، وهو الأرجح من القولين.

وعلى هذا ؛ فالمراد به نوعا الدُّعاء ؛ وهو في دعاء العبادة أَظهر ؛ أَي: ما يعبأُ بكم لولا أَنّكم تَرْجُونَه، وعبادته تستلزم مسأَلَته ؛ فالنّوعان داخلان فيه.

ومن ذلك قوله تعالى: {وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ}(٢)، فالدُّعاء يتضمن النّوعين، وهو في دعاء العبادة أظهر ؛ ولهذا أعقبه {إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي}(٣) الآية، ويفسَّر الدُّعاء في الآية بهذا وهذا.

وروى الترمذي عن النّعمان بن بشير رضي الله عنه قال: سمعتُ رسولَ الله صلَّى الله عليه وسلَّم يقول على المنبر: (إنَّ الدُّعاء هو العبادة، ثمّ قرأ قوله تعالى: {وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ}الآية)، وأمَّا قوله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ} الآية(٤)، وقوله: {إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلاَّ إِنَاثًا} الآية(٥)، وقوله: {وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَدْعُونَ مِنْ قَبْلُ} الآية(٦)، وكل موضعٍ ذكر فيه دعاءُ المشركين لأوثانهم، فالمراد به دعاءُ العبادة المتضمن دعاءَ المسألة، فهو في دعاء العبادة أظهر...

(١) الفرقان٧٧

(٢) غافر ٦٠

(٣) غافر ٦٠

(٤) الحج٧٣

(٥) النّساء١١٧

(٦) فصلت٤٨

وقوله تعالى: {فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ}[1]، هو دعاء العبادة، والمعنى: اعبدوه وحده وأخلصوا عبادته لا تعبدوا معه غيره.

وأمَّا قول إبراهيم عليه السّلام: {إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعاء}[2]، فالمراد بالسمع هنا السمع الخاص وهو سمع الإجابة والقبول لا السمع العام لأنه سميع لكل مسموع وإذا كان كذلك فالدعاء هنا يتناول دعاء الثناء ودعاء الطلب وسمع الرب تبارك وتعالى له إثابته على الثناء وإجابته للطلب فهو سميع لهذا وهذا.

وأمَّا قولُ زكريا عليه السّلام: {ولم أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا }[3]، فقد قيل: إنَّه دعاءُ لسّمع الخاص، وهو سمعُ الإجابة والقبول، لا السّمع العام ؛ لأنَّه سميعٌ لكل مسموعٍ، وإذا كان كذلك ؛ فالدُّعاء: دعاء العبادة ودعاء المسألة، والمعنى: أنَّك عودتَّني إجابتَك، ولم تشقني بالرد والحرمان، فهو توسلٌ إليه سبحانه وتعالى بما سلف من إجابته وإحسانه، وهذا ظاهرٌ ههنا.

وأمَّا قوله تعالى: {قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ} الآية[4]، فهذا الدُّعاء: المشهور أنَّه دعاءُ المسألة، وهو سببُ النّزول، قالوا: كان النّبيُّ صلَّى الله عليه وسلَّم يدعو ربه فيقول مرَّةً: يا الله. ومرَّةً: يا رحمن. فظنَّ المشركون أنَّه يدعو إلهين، فأنزل اللهُ هذه الآيةَ.

وأمَّا قوله: { إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ }[5]، فهذا دعاءُ العبادة المتضمن للسؤال رغبةً ورهبةً، والمعنى: إنَّا كنَّا نخلص له العبادة ؛ وبهذا

(١) غافر ٦٥

(٢) إبراهيم ٣٩

(٣) مريم ٤

(٤) الإسراء ١١٠

(٥) الطّور ٢٨

استحقُّوا أنْ وقاهم الله عذابَ السّموم، لا بمجرد السّؤال المشترك بين النّاجي وغيره: فإنّه سبحانه يسأله من في السّموات والأرض، {لَنْ نَدْعُوَ مِنْ دُونِهِ إِلَهًا}[١]، أي: لن نعبد غيره، وكذا قوله: {أَتَدْعُونَ بَعْلاً} الآية[٢].

وأمَّا قوله: {وَقِيلَ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ فَدَعَوْهُمْ}[٣]، فهذا دعاءُ المسألة، يبكتهم الله ويخزيهم يوم القيامة بآرائهم ؛ أنَّ شركاءَهم لا يستجيبون لهم دعوتَهم، وليس المراد: اعبدوهم، وهو نظير قوله تعالى: {وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا شُرَكَائِي الَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فلمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ}[٤]. إذَا عُرِفَ هَذَا: فَقَوْلُهُ تَعَالَى: { ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً }[٥] يَتَنَاوَلُ نَوْعَيْ الدُّعَاءِ ؛ لَكِنَّهُ ظَاهِرٌ فِي دُعَاءِ الْمَسْأَلَةِ مُتَضَمِّنٌ دُعَاءَ الْعِبَادَةِ وَلِهَذَا أَمَرَ بِإِخْفَائِهِ وَإِسْرَارِهِ."[٦].

قال الشيخ عبد الرحمن السعدي رحمه الله:"كل ما ورد في القرآن من الأمر بالدعاء، والنهي عن دعاء غير الله، والثناء على الداعين، يتناول دعاء المسألة، ودعاء العبادة"[٧].

***

---

(١) الكهف ١٤

(٢) الصّافات ١٢٥

(٣) القصص ٦٤

(٤) الكهف ٥٢

(٥) الأعراف ٥٥

(٦) انظر مجموع الفتاوى ١٥-١٠-١٤، وانظر بدائع الفوائد ٥/٥١٤ وما بعدها

(٧) القواعد الحسان ص١٥٤

المسألة الثانية: تقديم لفظ التعبد:

غير أن هناك عدد من العلماء من رأى التعبير بلفظ التعبد، وذلك لأوجه، منها:

١- أن الذهن ينصرف غالبا لدى الكثير من الناس عند إطلاق لفظ " الدعاء " إلى دعاء المسألة والطلب، وهذا ليس هو المراد، بينما إطلاق لفظ " التعبد " هو المراد والأدل على المقصود، لذا فالتعبير به أولى وأسلم.

٢- أن كثيرا من العلماء خاصة المنظرين لهذا المسلك كابن تيمية وابن القيم وغيرهما درج في ألفاظهم لفظ "التعبد"، مما يدل على استحسانه وأولويته

٣- لفظ التعبد يتوافق مع لفظ العبادة والعبودية التي هي الغاية والحكمة من وجودنا وخلقنا، وهو توحيد الألوهية، ولذا فالتعبير بهذا اللفظ يجمع بين توحيد الأسماء والصفات الذي هو من توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية، فيحقق أنواع التوحيد توحيد المعرفة والإثبات وتوحيد القصد والطلب(١)

***

---

(١) انظر التعبد بالأسماء والصفات ص ٤

المبحث الثاني: مراتب التعبُّد بأسماء الله وصفاته وآثاره، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: مراتب التعبد بأسماء الله وصفاته

التعبد بأسماء الله وصفاته الحسنى ليس على درجة واحدة، بل هو درجات ومراتب وأنواع، وكلما زاد علم العبد بالله جل وعلا ارتفـع في درجة التعبد، وأكمَلُ الناس عبوديّةً المتعبِّد بجميع الأسماء والصفاتِ

قال ابن تيمية رحمه الله: "فإذا استقرَّ في القلب وتمكَّن فيه العلمُ بكفايته لعبده ورحمتِه له وحِلمه عنده وبرِّه به وإحسانه إليه على الدَّوام

أوجَب له الفرَح والسُّرور أعظَمَ من فرَح كلِّ محبٍّ بكل محبوب سواه،

فلا يزال مترقِّيًا في درجات العلوِّ والارتفاع بحسب رقيِّه في هذه المعارف؛ هذا في باب معرفة الأسماء والصفات".(١)

قال ابن القيم رحمه الله: أكمل الناس عبودية المتعبد بجميع الأسماء والصفات التي يطلع عليها البشر، فلا تحجبه عبودية اسم عن عبودية اسم آخر،

كمن يحجبه التعبد باسمه القدير عن التعبد باسمه الحليم الرحيم،

أو يحجبه عبودية اسمه المعطي عن عبودية اسمه المانع،

أو عبودية اسمه الرحيم والعفو والغفور عن اسمه المنتقم،

أو التعبد بأسماء التودد، والبر، واللطف، والإحسان عن أسماء العدل، والجبروت، والعظمة، والكبرياء

ونحو ذلك.

---

(١) دقائق التفسير ٦/٥، مجموع الفتاوى ٤٩/١٦

وهذه طريقة الكُمَّل من السائرين إلى الله، وهي طريقة مشتقة من قلب القرآن، قال الله تعالى {ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها}(١).

والدعاء بها يتناول دعاء المسألة، ودعاء الثناء، ودعاء التعبد، وهو سبحانه يدعو عباده إلى أن يعرفوه(٢).

وقال العزُّ بن عبدالسلام: "وقد يَحصل التحديقُ إلى هذه الصِّفات من غير تذكُّر ولا استِحضار،

والعارفون متفاوِتون في كثرة ذلك وقلَّتِه، وانقطاعه ومداومته، فهم في رياض المعرفةِ يتقلَّبون، ومِن نَضارة ثمارها يتعجَّبون، ولا تستمر الأحوال لأحدٍ منهم على الدَّوام والاتصال لتقلُّب القلوب وتنقُّل الأحوال، والغفلات حجُبٌ على المعارف مسدلات، إن أسدلَت على جميعها نكص العارِف إلى طَبْع البشر، فربَّما وقعَت منه الهفوات والزلَّات، فإذا انكشف الحجاب عن بعض الصِّفات، ظهرَت آثارُ تلك الصِّفة وأينعَت أثمارُها".(٣)

***

---

(١) الأعراف ١٨٠

(٢) مدارج السالكين ١/٤٢٠،وانظر شفاء العليل ١/٢٧٨

(٣) شجرة المعارف والأحوال ٤٣

المطلب الثاني: آثار التعبد بأسماء الله وصفاته:

تقدم بيان منزلة الإيمان بأسماء الله وصفاته وأهميته، وهناك جانب آخر يبرز أهميته وهو آثار المعرفة والتعبد بها سواء على العبد نفسه خصوصا، أو على المجتمع عموما، فالعلم بتلك الآثار تبرز أهميته ومنزلة بجلاء ووضوح. وآثار التعبد بأسماء الله وصفاته على العبد نفسه لا يُحاط بالوصف ولا يُدرك إلا لمن يُرزق فهمها ومعرفتها، والتعبد والمعرفة متلازمان، فمعرفة بدون تعبد لا تفيد صاحبها، وتعبد بدون معرفة لا يصح التعبد وقد يكون ضلالا وانحرفا، لذا فما يذكر عن أهمية المعرفة أو عن التعبد فهو شامل للأمرين معا ولا يخص أحدهما دون الآخر.

ومن جملة تلك الآثار:

١. أن التعبد من أعظم أسباب دخول الجنة والنجاة من النار، عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إن لله تسعة وتسعين اسما مائة إلا واحدا من أحصاها دخل الجنة)، وقد تقدم بيان المراد بأحصاها، وأن من الإحصاء تعبد الله بها.

٢. يزيد إيمان العبد بربه، وإقبال على الطاعات اجتناب الذنوب، ويزيده اجتهادا في نيل محاب الله، وفي العمل بما يرضيه. قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: " من عرف أسماء الله ومعانيها فآمن بها كان إيمانه أكمل ممن لم يعرف تلك الأسماء بل آمن بها إيمانا مجملا "[١].

---

(١) مجموع الفتاوى ٧/٢٣٤-٢٣٥

٣. يورث ويثمر في العبد عبادات قلبية متنوعة من ذلك: حب الله وتعظيمه ورجائه وخوفه، وخشيته، وذلاً له وخضوعاً وانكساراً وفقراً، وإخلاص العمل له، فهي أعظم الأسباب والطرق لذلك.

قال ابن القيم: "كلَّما ازدادت معرفةُ العبد بربِّه ازدادتْ هيبتُه له وخشيتُه إيَّاه، كما قال الله تعالى: { إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ }(١) ؛ أي: العلماء به، وقال النبيُّ صلى الله عليه وسلم: (أنا أعرَفُكم بالله وأشدُّكم له خشية)(٢)(٣).وقال ابن القيم: "كلَّما كان بالله أعرف كان توكُّله عليه أقوى"(٤)

وقال ابن كثير: "إنَّما يخشاه حقَّ خشيته العلماءُ العارِفون به؛ لأنَّه كلما كانت المعرفة للعظيم القديرِ العليم الموصوفِ بصفات الكمال المنعوتِ بالأسماء الحسنى، كلما كانت المعرفة به أتمَّ والعلم به أكمل - كانت الخشيةُ له أعظم وأكثر".(٥)

---

(١) فاطر: ٢٨

(٢) أخرجه البخاري كتاب الأدب باب من لم يواجه الناس بالعتاب حديث رقم ٦١٠١، ومسلم كتاب الفضائل باب علمه بالله تعالى وشدة خشيته حديث رقم ٦٢٥٥، بلفظ: (إني لأعلمهم بالله وأشدهم له خشية). من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٣) روضة المحبين ص ٤٠٦

(٤) مدارج السالكين ٢/١٢٣، وانظر: طريق الهجرتين: ٤٢٣، التعبُّد بالأسماء والصفات ص ١٠

(٥) تفسير القرآن العظيم ٣ / ٥٦١

يقول العز بن عبد السلام رحمه الله: "فهم معاني أسماء الله تعالى وسيلة إلى معاملته بثمراتها من: الخوف، والرجاء، والمهابة، والمحبة، والتوكل، وغير ذلك من ثمرات معرفة الصفات"(١).

قال الشيخ عبد الرحمن بن سعدي رحمه الله: " إن معرفة الله تعالى تدعو إلى محبته وخشيته ورجائه وإخلاص العمل له، وهذا عين سعادة العبد، ولا سبيل إلى معرفة الله إلا بمعرفة أسمائه وصفاته، والتفقه في فهم معانيها.. بل حقيقة الإيمان أن يعرف الربّ الذي يؤمن به، ويبذل جهده في معرفة أسمائه وصفاته، حتى يبلغ درجة اليقين. وبحسب معرفته بربه، يكون إيمانه، فكلما ازداد معرفة بربه، ازداد إيمانه، وكلما نقص نقص، وأقرب طريق يوصله إلى ذلك: تدبر صفاته وأسمائه من القرآن.. "(٢).

قال ابن رجب(٣) رحمه الله: " فأصل العلم: العلم بالله الذي يوجب خشيته ومحبته والقرب منه والأنس به والشوق إليه، ثم يتلوه العلم بأحكام الله وما يحبه ويرضاه من العبد من قول أو عمل و حال أو اعتقاد "(٤).

فمن الثمرات: اليقين والطمأنينة، قال ابن القيم رحمه الله: " وحقيقة الطمأنينة التي تصير بها النفس مطمئنة أن تطمئن في باب معرفة أسمائه وصفاته

---

(١) شجرة المعارف والأحوال، ص ١.

(٢) تفسير السعدي، ج ١، ص ٢٤.

(٣) زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن،، الحنبلي، الواعظ. الإمام الحافظ، المحدّث، الفقيه، توفي من بعد سنة: ٧٩٢هـ. يُنظر: ذيل طبقات الحفاظ، ٢٤٣- ٢٤٤ انظر: الأعلام (٣/ ٢٩٥)

(٤) فضل علم السلف ص ٦٩

ونعوت كماله إلى خبره الذي أخبر به عن نفسه وأخبرت به عنه رسله فتتلقاه بالقبول والتسليم والإذعان وانشراح الصدر له وفرح القلب به، فإنه معرفة من معرفات الرب سبحانه إلى عبده على لسان رسوله فلا يزل القلب في أعظم القلق والاضطراب في هذا الباب حتى يخالط الإيمان بأسماء الرب تعالى وصفاته وتوحيده وعلوه على عرشه وتكلمه بالوحي بشاشة قلبه فينزل ذلك عليه نزول الماء الزلال على القلب الملتهب بالعطش فيطمئن إليه ويسكن إليه ويفرح به ويلين له قلبه ومفاصله، حتى كأنه شاهد الأمر كما أخبرت به الرسل بل يصير ذلك لقلبه بمنزلة رؤية الشمس في الظهيرة لعينه فلو خالفه في ذلك من بين شرق الأرض وغربها لم يلتفت إلى خلافهم

وقال إذا استوحش من الغربة: قد كان الصديق الأكبر مطمئنا بالإيمان وحده وجميع أهل الأرض يخالفه وما نقص ذلك من طمأنينة شيئا، فهذا أول درجات الطمأنينة ثم لا يزال يقوى كلما سمع بآية متضمنة لصفة من صفات ربه وهذا أمر لا نهاية له فهذه الطمأنينة أصل أصول الإيمان التي قام عليه بناؤه."(١)

ومن الثمرات الرضا والتسليم لما قضاه الله شرعا وقدرا.

والتعبد بأسماء الله تعالى وصفاته يثمر الموقف الصحيح تجاه ما قضاه الله شرعا وقدرا، فإن الإنسان ظلوم جهول، والله تعالى بكل شيء عليم، وهو سبحانه حَكَمٌ عدْل، ولا يظلم تعالى أحداً.

---

(١) الروح ص ٢٢١

قال ابن القيم -رحمه الله-: "وأكثر الناس يظنون بالله ظن السوء فيما يختص بهم، وفيما يفعله بغيرهم، ولا يسلم من ذلك إلا من عرف الله، وأسماءه وصفاته، وعرف موجب حكمته وحمده... ولو فتشت من فتشت لرأيت عنده تَعَتّباً على القدَر وملامة له... وأنه كان ينبغي أن يكون كذا وكذا، فمستقل ومستكثر، وفتش نفسك هل أنت سالم... من ذلك"[1].

يقول ابن القيم -رحمه الله-: من صحت له معرفة ربه والفقه في أسمائه وصفاته علم يقيناً أن المكروهات التي تصيبه والمحن التي تنزل به فيها ضروب من المصالح والمنافع التي لا يحصيها علمه ولا فكرته، بل مصلحة العبد فيما كره أعظم منها فيما يحب.[2]

ومن الثمرات: السلامة من آفات وأمراض القلوب.

والتعبد بأسماء الله تعالى وصفاته سبب رئيس في السلامة من الآفات: كالحسد، والكبر.

قال ابن القيم -رحمه الله-: لو عرف العبد ربّه بصفات الكمال ونعوت الجلال، لم يتكبر ولم يحسد أحداً على ما آتاه الله؛ فإن الحسد في الحقيقة نوع من معاداة الله؛ فإنه يكره نعمة الله على عبده وقد أحبها الله، ويحب زوالها عنه والله يكره ذلك، فهو مضاد لله في قضائه وقدره ومحبته وكراهته.[3]

---

(١) زاد المعاد ٣/ ٢٠٦

(٢) الفوائد ص: ٩١ - ٩٢

(٣) المصدر السابق ص: ١٥٨

ومن العبادات الأخرى التي يورثها التعبد بأسماء الله وصفاته: المحبة والرضا والتوكل والخشية والهيبة وتعظيم الله وإجلاله وغيرها من العبادات.

٤. أن معرفة الله ربح لا خسارة فيها، بل ربح عظيم وكبير سواء في حياته الدنيوية أو الأخروية، إذ إن كل اسم أو صفة لله له تأثير خاص في القلب والسلوك والجوارح.

٥. يحصن العبد من الشبهات، ويحفظه من الشهوات المحرمة، ويبدد حجب الغفلة ؛ بما يمد العبد من أنوار الحق، والبصيرة.

٦. يحسن علاقة العبد بربه وسلوكه معه، حيث يورثه يقينا وطمأنينة، وأدبا معه وحياء منه

٧. تسكن به نفس العبد ويطمئن قلبه وينشرح صدره، فيحيا حياة طيبة وسعادة حقيقية

٨. الفوز والفلاح برضى الله وثوابه والنجاة من سخطه وعقابه.

٩. الزهد في الدنيا وعدم التطلع ولا التعلق بها.

١٠. من أعظم وسائل الدعاء وأسباب إجابته توسل الداعي بأسماء الله وصفاته وتعبده بها. قال تعالى { وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا }[١].

١١. يتحقق به تزكية النفس وصلاح القلب، وحسن الخلق، وسلامة التفكير، والسلامة من الآفات ومساؤي الأخلاق، ورداة السلوك.

قال ابن القيم رحمه الله: "لو عرف ربّه بصفات الكمال ونعوت الجلال، لم يتكبر ولم يحسد أحداً على ما آتاه الله ؛ فإن الحسد في الحقيقة نوع من معاداة

---

(١) الأعراف : ١٨٠

الله ؛ فإنه يكره نعمة الله على عبده وقد أحبها الله، ويحب زوالها عنه والله يكره ذلك، فهو مضاد لله في قضائه وقدره ومحبته وكراهته... "[١].

١٢. يثمر الموقف الصحيح تجاه المصائب والمكروهات التي تصيب العبد.

يقول ابن القيم رحمه الله: "من صحت له معرفة ربه والفقه في أسمائه وصفاته علم يقيناً أن المكروهات التي تصيبه والمحن التي تنزل به فيها ضروب من المصالح والمنافع التي لا يحصيها علمه ولا فكرته، بل مصلحة العبد فيما كره أعظم منها فيما يحب... "[٢].

ويقول أيضاً: ".. فكل ما تراه في الوجود من شر وألم وعقوبة ونقص في نفسك وفي غيرك فهو من قيام الرب تعالى بالقسط، وهو عدل الله وقسطه، وإن أجراه على يد ظالم، فالمسلط له أعدل العادلين، كما قال تعالى لمن أفسد في الأرض: { بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَاداً لَّنَا أُوْلِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلاَلَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْداً مَّفْعُولاً }[٣] "[٤].

***

---

(١) الفوائد ص ١٥٠.

(٢) المصدر السابق ص ٨٥.

(٣) الإسراء : ٥

(٤) مدارج السالكين١ / ٤٢٥.

المبحث الثالث: أقسام الصفات بالنسبة لتعبد العبد بها

أسماء الله تعالى وصفاته من حيث تعبد العبد بها والاقتداء بها ثلاثة أقسام، هي:

١- لا يمكن التعبد بها.

٢- يمكن التعبد به. وهو ضربان:

- أحدهما: ما يمكن التعبد بها، ويشرع ذلك.

- الثاني: ما يمكن التعبد بها، ولا يجوز ذلك.[١]

القسم الأول: مالا يمكن التعبد بها، بل ويستحيل منه ذلك، وهذه هي الصفات الخاصة بالله عز وجل التي لا قدرة للعبد بالتعبد بها بأي معنى من معانيها، فهي لله وحده، وهذه مثل صفة: الإله والإحياء والإماتة والتدبير والخلق.

القسم الثاني: ما يمكن التعبد به، ويشرع ذلك.

وهذه الصفات تتحلى بثلاثة أمور هي:

- ورد في الشرع الحث على التعبد بها، بل الأمر بالاتصاف والتعبد بها.

- ثبت أن هذه الصفات يحبها الله عز وجل ويحب مقتضياتها، ويحب من عبده الاتصاف بها، وأمره بموجبها ومقتضياتها، وأثنى على أهلها المتصفين بها. ومن تلك الصفات: عليم، حكيم، حليم، رحيم، صبور، عفو، جميل، شكور، جواد، كريم، محسن، ودود، محسن، طيب، عدل، حيي ستير، فهو يحب هذه الصفات ويحب أهلها المتصفين بها.

---

(١) انظر شجرة المعارف والأحوال ص ١٤

قال ابن القيم رحمه الله: "ولما كان سبحانه هو الشكور على الحقيقة، كان أحب خلقه إليه من اتصف بصفة الشكر، كما أن أبغض خلقه إليه من عطلها، أو اتصف بضدها، وهذا شان أسمائه الحسنى، أحب خلقه إليه من اتصف بموجبها، وأبغضهم إليه من اتصف بأضدادها... وهو سبحانه جميل يحب الجمال، عليم يجب العلماء. رحيم يحب الرحماء. محسن يحب المحسنين. ستير يحب أهل الستر. قادر يلوم على العجز. والمؤمن القوي أحب إليه من المؤمن الضعيف. فهو عفو تحب العفو. وتر يحب الوتر. وكل ما يحبه فهو من آثار أسمائه وصفاته وموجبها، وكل ما يبغضه فهو مما يضادها وينافيها "[1].

وهذه النوع من الصفات هو في مجال قدرة العبد، وتوجد معانيها لديه، ويليق به تعبد الله بها، والعمل بمقتضاها.[2]

ومثال التعبد لله بأسماء الله وصفاته:

اسم الحليم: فمن من أسماء الله تبارك وتعالى الثابتة " الحليم ". والتعبد بهذا الاسم هو: حلم العبد عن كل من ظلمه أو سبه أو آذاه، إذ يعلم العبد أن ربه حليم كريم، يحلم ويعفو عن كل من عضاه وخالف أمره.

صفة العلم: فالله عليم بكل شيء، والتعبد بهذه الصفة هو: أن تعرف الله عز وجل بأسمائه وصفاته، والعلم بأحكامه حلاله وحرامه، ومعرفة كل ما يقربك إليه.

---

(١)عدة الصابرين ص٢٨٣، وانظر الوابل الصيب ص ٣٤

(٢) انظر فتح الباري، ١١ / ٢٢٦

وهذا التعبد بهذه الصفة تثمر لدى العبد: الخوف من الله، والحياء منه في سائر أحوال العبد، إذ إن الله بكل شيء عليم.

والناس فيها على تفاوت ورتب ودرجات، فكل يتعبد بها على حسب الإمكان.

وأكمل الناس عبودية لله عز وجل أكملهم تعبدا بجميع الأسماء والصفات التي يمكن للعبد ويليق به أن يتصف بها، فلا تحجبه عبودية اسم من هذه الأسماء عن عبودية اسم آخر.

ولا عبودية صفة من هذه الصفات عن عبودية صفة أخرى. كمن يحجبه مثلاً التعبد لله باسمه القدير عن التعبد باسمه الحليم الرحيم.

القسم الثالث: ما يمكن التعبد به، ولا يجوز ذلك، لأنها مختصة بالله.

ما يمكن التعبد به، لكن ورد في الشرع النهي منع ذلك وتحريمه، إذ إنها لا تليق بالعبد، وهي في حقه نقص وذم، وإن كانت في حق الله عز وجل صفة كمال ومدح وثناء.

مثالها: صفة الكبرياء، والتجبر والعظمة، واسم المتكبر والجبار والعظيم ونحوها من الأسماء والصفات التي تليق بالخالق عز وجل دون المخلوق.

نقل ابن حجر[١] رحمه الله عن ابن بطال[٢] رحمه الله قوله: طريق العمل بها[٣]:... وما كان يختص بالله تعالى، كالجبار والعظيم، فيجب على العبد الإقرار بها، والخضوع لها، وعدم التحلي بصفة منها[٤].

ومن ادعى الاتصاف بها تحقيقا وتعبدا لآن الله متصف بها، فقد عرض نفسه للعقوبة، كما جاء عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " قال الله عز وجل: الكبرياء ردائي، والعظمة إزاري، فمن نازعني واحدا منهما قذفته في النار".

***

(١) أحمد بن علي بن محمد الكناني العسقلاني، أبو الفضل، شهاب الدين، المعروف بـ ابن حجر، عالم مؤرخ، حافظ الإسلام في عصره توفي سنة٨٥٢هـ. ينظر: الأعلام، للزركلي(١/١٧٨)، موسوعة مواقف السلف في العقيدة، لأبي سهل المغراوي(٨/٥٠٨-٥١٠).

(٢) ابن بطال أبو الحسن، علي بن خلف بن بطال البكري، القرطبي، ويعرف بابن اللجام، من أهل العلم والمعرفة، عني بالحديث العناية التامة شرح " صحيح " البخاري،، توفي في صفر سنة ٤٤٩ هـ. ينظر : سير أعلام النبلاء ٤٨/١٨ ترتيب المدارك ٤ / ٨٢٧، العبر ٣ / ٢١٩، الوافي بالوفيات م ١٢ / ٥٦، شذرات الذهب ٣ / ٢٨٣

(٣)أي حديث: (له تسعة وتسعون اسما مائة إلا واحد، لا يحفظها أحد إلا دخل الجنة).

(٤)فتح الباري، ١١ / ٢٢٦

الخاتمة

في ختام هذا البحث؛ أحمد الله عز وجل الذي أنعم، وتفضل عليَّ بإتمامه، ولولا فضله وتيسيره ومنته لما تم ذلك، فأحمده سبحانه كما هو أهله، وأشكره كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه.

وبعد؛ فبنهاية هذا البحث أوجر ما انتهيت إليه من نتائج والفوائد العلمية، وهي كالتالي:

١٢. أن حاجة العبد إلى معرفة أسماء الله وصفاته من أعظم الحاجات وأفضلها، والعلم بها أول الفروض فعبادة الله ومعرفته لا تتحقق إلا بمعرفة أسمائه وصفاته فالمعرفة هي الطريق للعبادة، وعليه فمعرفة أسماء الله وصفاته هي أصل عبادة الله سبحانه وتعالى.

١٣. بين توحيد الله بأسمائه وصفاته وبين توحيد الألوهية ارتباط وتلازم، فكلما حقق العبد توحيد الأسماء والصفات كان أكمل توحيدا لله وعبودية له. وكذا تلازم بين إنكار الأسماء والصفات والشرك.

١٤. ، التعبد والمعرفة متلازمان، فمعرفة بدون تعبد لا تفيد صاحبها، وتعبد بدون معرفة لا يصح التعبد وقد يكون ضلالا وانحرفا.

١٥. منزلة العبد عند الله سبحانه على قدر معرفته به، واتصاف العبد بمقتضيات صفات الله عز وجل، مما يزيد حب الله له والقرب منه.

١٦. إحصاء أسماء الله يتضمن: تعلمها وحفظ ألفاظها وفهم وفقه معانيها، والعمل بها وتحقيق ما تقتضيه.

١٧. "العمل بأسماء الله وصفاته وتحقيق ما تقتضيه " أطلقت عليه أربع ألفاظ:لفظان باطلان: التشبه، التخلق، ولفظان صحيحان: التعبد، الدعاء.

١٨. لم يرد في النصوص الشرعية لا في الكتاب ولا في السنة ولا في كلام الصحابة وسلف الأمة إطلاق لفظ " الأخلاق " على الله عز وجل، وما ورد في السنة النبوية من أحاديث فيها وصف صفات الله عز وجل بالأخلاق فهي أحاديث لا تصح ولا تثبت، بل كثير منها لا أصل له وموضوع، وعليه فلفظ " الأخلاق " لا يصح أن يطلق على صفات الله عز وجل، لعدم ورودها، كما أنها تحتمل معاني لا تليق بالله عز وجل.

١٩. عبارة "التخلق بأخلاق الله" لها محملان: محمل صحيح سليم وهو الحث على التخلق بمقتضى صفات الله وأسمائه التي يحسن من المخلوق أن يتصف بمقتضاها. ومحمل فاسد باطل وهو محاولة الاتصاف بجميع صفات الله تعالى سواء ما اختص به الله عز وجل من الصفات أو غيرها من الصفات.

٢٠. للعلماء في إطلاق لفظ " التخلق " والتعبير به على الاقتداء بأسماء الله وصفاته اتجاهان: الأول: جواز التعبير بذلك وعدم التحرج منه. والآخر: رفض ذلك ومنعه والتحذير من التعبير به، لما يتضمن من محاذير.

٢١. أن من أجاز ذلك وقال به كان معتمدا على حديث: (تخلقوا بأخلاق الله)، وهو حديث لا يعرف عن النبي صلى الله عليه وسلم بل هو من باب الموضوعات.

٢٢. عبارة التخلق بأسماء الله والتشبه بصفاته عبارة منتزعة من قول الفلاسفة "بالتشبه بالإله على قدر الطاقة". وأنها فكرة يونانية قديمة أول من قال بها أفلاطون.

٢٣. تقديم لفظ الدعاء وأولويته لأنه: اللفظ المطابق لما ورد في القرآن الكريم، وأنه شامل لنوعي الدعاء التعبد والمسألة.

٢٤. تقديم لفظ التعبد وأولويته لأنه: أدل على المقصود من غيره من الألفاظ، درج في كلام عدد من العلماء، يتوافق مع لفظ العبادة والعبودية التي هي الغاية والحكمة من وجودنا وخلقنا.

٢٥. التعبد بأسماء الله وصفاته الحسنى ليس على درجة واحدة، بل هو درجات ومراتب، وكلما زاد علم العبد بالله جل وعلا ارتفع في درجة التعبد، وأكمل الناس عبودية المتعبد بجميع الأسماء والصفات.

٢٦. أسماء الله تعالى وصفاته من حيث تعبد العبد بها والاقتداء بها ثلاثة أقسام: لا يمكن التعبد بها، ويمكن التعبد بها ويشرع ذلك، وما يمكن التعبد بها ولا يجوز ذلك.

وأخير أحمد الله عز وجل أولا وآخرا على فضله ونعمته وتوفيقه باختيار هذه الدراسة، وتيسيرها وإتمامها.

وهذا جهد المقل فما كان فيه من خير وصواب فمن الله وحده، وما كان فيه من خلل وتقصير فمني ومن الشيطان. وعذري أن بذلت جهدي وأفرغت وسعي في إكماله وإتمامه بأحسن صورة وأكملها.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

فهرس المصادر:

١. إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين، محمد بن محمد الحسيني الزبيدي، مؤسسة التاريخ العربي، لبنان، بيروت الطبعة: الأولى، ١٤١٤هـ.

٢. أحكام القرآن، محمد بن عبد الله ابن العربي، ٥٤٣، عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي.

٣. إحياء علوم الدين، للغزالي، وبذيله كتاب المغني عن حمل الأسفار في الأسفار لزين الدين العراقي، تصحيح الشيخ عبد العزيز السيروان، دار القلم، بيروت، الطبعة الثالثة.

٤. أخبار أصبهان = تاريخ أصبهان، أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني، المحقق: سيد كسروي حسن، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٠ هـ

٥. الأخلاق الإسلامية وأسسها، المؤلف: عبد الرحمن حبنكة الميداني

٦. أسماء الله الحسنى محمد متولي الشعراوي مطبوعات أخبار اليوم

٧. الأمد الأقصى في شرح أسماء الله الحسنى وصفاته العلى، للقاضي أبي بكر بن العربي ضبط نصه: عبد الله التوراتي وخرج أحاديثه ووثق نقوله: أحمد عروبي، الناشر: دار الحديث الكنانية

٨. بدائع الفوائد، محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان

٩. بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني، تحقيق: محمد بن عبد الرحمن بن قاسم، الناشر: مطبعة الحكومة – مكة المكرمة الطبعة الأولى، ١٣٩٢

١٠. التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، ١٣٩٣، دار النشر دار سحنون للنشر والتوزيع تونس، ١٩٩٧ م.

١١. تخريج أحاديث إحياء علوم الدين، المؤلفون: العِراقي، ابن السبكى، الزبيدي، استِخرَاج: أبي عبد الله مَحمُود بِن مُحَمّد الحَدّاد، الناشر: دار العاصمة للنشر – الرياض الطبعة: الأولى، ١٤٠٨ هـ

١٢. الترغيب والترهيب من الحديث الشريف، عبد العظيم بن عبد القوي المنذري، ضبط أحاديثه وعلق عليه: مصطفى محمد عمارة

١٣. التعبُّد بالأسماء والصفات لمحات علمية إيمانية، وليد الودعاني بدون بيانات نسخة الإلكترونية في النت
١٤. التعرف لمذهب أهل التصوف، أبو بكر محمد بن أبي إسحاق الكلاباذي، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت
١٥. التعريفات، علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني، المحقق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى ١٤٠٣هـ.
١٦. تفسير ابن كثير المسمى تفسير القرآن العظيم لابن كثير إسماعيل بن عمر الدمشقي تحقيق سامي السلامة دار طيبة الرياض ط ٢، ١٤٢٥ هـ
١٧. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر بن السعدي، ١٣٧٦، المحقق عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ -٢٠٠٠ م.
١٨. التيسير بشرح الجامع الصغير، زين الدين عبد الرؤوف المناوي، الطبعة: الثالثة دار النشر مكتبة الإمام الشافعي الرياض ١٤٠٨هـ
١٩. جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير الطبري، ٣١٠، د. عبد الله التركي، دار هجر.
٢٠. الجامع الصغير وشرحه النافع الكبير، أبو عبد الله محمد بن الحسن الشيباني، الناشر عالم الكتب سنة ١٤٠٦
٢١. جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم، المؤلف: زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السَلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي (المتوفى: ٧٩٥هـ)، المحقق: شعيب الأرناؤوط - إبراهيم باجس، الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة: السابعة، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.
٢٢. الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي، ٦٧١، المحقق هشام سمير البخاري، دار عالم الكتب، الرياض، الطبعة ١٤٢٣ هـ/ ٢٠٠٣ م.

٢٣. الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة، إسماعيل بن محمد بن الفضل بن علي القرشي الأصبهاني، المحقق: محمد بن ربيع بن هادي عمير المدخلي، دار الراية، المملكة العربية السعودية، الرياض، الطبعة: الثانية، ١٤١٩هـ.
٢٤. الحوار القرآني في سورة نوح د. يحيى محمد زمزمي بحث مقدم للمشاركة في مؤتمر الحوار مع الآخر الذي تنظمه كلية الدراسات الإسلامية والشريعة بجامعة الشارقة عام ١٤٢٨
٢٥. درء تعارض العقل والنقل لشيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق محمد رشاد سالم، ط ١، ١٤٠٠ هـ الرياض
٢٦. دقائق التفسير الجامع لتفسير ابن تيمية، المحقق: د. محمد السيد الجليند، الناشر: مؤسسة علوم القرآن – دمشق، الطبعة: الثانية، ١٤٠٤
٢٧. الرد على الشاذلي في حزبيه، وما صنفه في آداب الطريق، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني، المحقق: علي بن محمد العمران، الناشر: دار عالم الفوائد – مكة، الطبعة: الأولى ١٤٢٩هـ
٢٨. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، محمود بن عبد الله الألوسي أبو الفضل، ١٢٧٠، محمد الأمد، عمر عبد السلام، دار إحياء التراث العربي.
٢٩. روضة المحبين ونزهة المشتاقين، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي ابن قيم الجوزية الناشر: دار الكتب العلمية بيروت، ١٤١٢
٣٠. زاد المعاد في هدي خير العباد، لابن القيم، تحقيق شعيب الأرنؤوط، وعبد القادر الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، مكتبة المنار الإسلامية، الكويت، الطبعة الخامسة والعشرون، ١٤١٢هـ.
٣١. سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، المملكة العربية السعودية، الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤١٦هـ.
٣٢. السلسلة الضعيفة، المحدث محمد ناصر الدين الألباني، الناشر: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع الطبعة: الطبعة الأولى

٣٣. سنن أبي داود، أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السجستاني، المحقق: شعيب الأرنؤوط - محمد كامل قره بللي، دار الرسالة العالمية، الطبعة:الأولى،١٤٣٠ هـ.
٣٤. سير أعلام النبلاء، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، المحقق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٥ هـ.
٣٥. شجرة المعارف والأحوال وصالح الأقوال والأعمال عز الدين عبدالسلام السلمي تحقيق أحمد فريد المزيدي دار الكتب العلمية بيروت الطبعة الأولى ١٤٢٤
٣٦. شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي، تحقيق د عبد اله التركي وشعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة ط ١١، ١٤١٨ هـ
٣٧. شرح العقيدة الواسطية: للشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ
٣٨. شرح كلمات الشيخ عبد القادر الكيلانى من فتوح الغيب لشيخ الاسلام ابن تيمية، تحقيق اياد عبد اللطيف ابراهيم. الناشر مكتبة المثنى، بغداد سنة ١٩٨٧
٣٩. شعب الإيمان، أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق: محمد السعيد بسيوني زغلول الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٠
٤٠. شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، محمد بن أبي بكر بن أيوب شمس الدين ابن قيم الجوزية، المحقق: دار المعرفة، لبنان، بيروت، بدون طبعة، ١٣٩٨هـ.
٤١. صحيح البخاري: الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، لبنان، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ.
٤٢. صحيح الجامع الصغير وزيادته، محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، لبنان، بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٨هـ.
٤٣. صحيح سنن أبي داود، محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، المملكة العربية السعودية، الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ.

٤٤. صحيح مسلم المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، لبنان، بيروت، بدون طبعة، وتاريخ.
٤٥. الصفدية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني، المحقق: محمد رشاد سالم، الناشر: مكتبة ابن تيمية، مصر الطبعة: الثانية، ١٤٠٦هـ
٤٦. الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة، لابن قيم الجوزية، تحقيق د على الدخيل الله، دار العاصمة الرياض ط ١، ١٤٠٨هـ
٤٧. ضعيف الترغيب والترهيب، محمد ناصر الدين الألباني، الناشر: مكتبة المعارف – الرياض
٤٨. ضعيف الجامع الصغير وزيادته، محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، لبنان، بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٨هـ.
٤٩. طريق الهجرتين وباب السعادتين، محمد بن أبي بكر بن أيوب شمس الدين ابن قيم الجوزية، دار السلفية، مصر، القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٣٩٤هـ.
٥٠. عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين، محمد بن أبي بكر بن أيوب شمس الدين ابن قيم الجوزية، المحقق: سليم الهلالي، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، الرياض، الطبعة: الثانية، ١٤٣٣هـ.
٥١. العلل المتناهية في الأحاديث الواهية، عبد الرحمن بن علي بن الجوزي، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٣
٥٢. العلل الواردة في الأحاديث النبوية، أبو الحسن علي بن عمر الدارقطني، تحقيق وتخريج: محفوظ الرحمن زين الله السلفي، الناشر: دار طيبة – الرياض، الطبعة: الأولى ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م.
٥٣. عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد أشرف بن أمير بن علي بن حيدر، دار الكتب العلمية، لبنان، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤١٥ هـ.
٥٤. فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني، المحقق: عبد العزيز بن عبد الله بن باز، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه

وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، دار المعرفة، لبنان، بيروت، بدون طبعة، ١٣٧٩هـ.

٥٥. الفتوى الحموية الكبرى، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني المحقق: د. حمد بن عبد المحسن التويجري، الناشر: دار الصميعي – الرياض، الطبعة: الطبعة الثانية ١٤٢٥هـ

٥٦. الفردوس بمأثور الخطاب، شيرويه بن شهردار، أبو شجاع الديلميّ الهمذاني، المحقق: السعيد بن بسيوني زغلول،ة الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦ هـ – ١٩٨٦م

٥٧. فضل علم السلف على الخلف، عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي.

٥٨. فقه الأسماء الحسنى عبدالرزاق البدر دار التوحيد للنشر الرياض الطبعة الأولى ١٤٢٩

٥٩. الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة، محمد بن علي بن محمد الشوكاني، المحقق: عبد الرحمن بن يحي المعلمي اليماني، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان

٦٠. الفوائد، محمد بن أبي بكر بن أيوب شمس الدين ابن قيم الجوزية، دار الكتب العلمية، لبنان، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٣٩٣ هـ.

٦١. في محظورية القول بالتخلق بأسماء الله والتشبه بصفاته والاقتداء بأفعاله محمد علي فركوس، الكلمات الشهرية١٤ نسخة الإلكترونية

٦٢. فيض القدير شرح الجامع الصغير، زين الدين محمد المناوي، الناشر: المكتبة التجارية الكبرى مصر، الطبعة: الأولى، ١٣٥٦

٦٣. القاموس المحيط للفيروز آبادي المؤسسة العربية للطباعة والنشر بيروت

٦٤. قضاء الحوائج، أبو بكر ابن أبي الدنيا، المحقق: مجدي السيد إبراهيم، الناشر: مكتبة القرآن – القاهرة

٦٥. القواعد الحسان لتفسير القرآن، عبد الرحمن بن ناصر آل سعدي، الناشر: مكتبة الرشد، الرياض الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ

٦٦. الكتاب: الروح في الكلام على أرواح الأموات والأحياء بالدلائل من الكتاب والسنة، محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت،
٦٧. كشف الأستار عن زوائد البزار، نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٣٩٩ هـ
٦٨. كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، علاء الدين علي بن حسام الدين ابن قاضي الشهير بالمتقي الهندي، المحقق: بكري حياني – صفوة السقا، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الطبعة الخامسة، ١٤٠١هـ/١٩٨١م
٦٩. لسان العرب، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى دار صادر بيروت، ط٣، ١٤١٤ هـ،
٧٠. لقاء الباب المفتوح محمد بن صالح بن محمد العثيمين
٧١. لمحة عن عقيدة التخلق بأخلاق الله عيسى السعدي موقع ملتقى أهل التفسير نسخة الإلكترونية
٧٢. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، المؤلف: نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي (٧٣٥ – ٨٠٧ هـ)، بتحرير الحافظين الجليلين: العراقي وابن جحر، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: ١٤٠٨ هـ– ١٩٨٨ م
٧٣. مجموع فتاوى العلامة عبد العزيز بن باز رحمه الله، أشرف على جمعه وطبعه: محمد بن سعد الشويعر
٧٤. مجموع فتاوى/ التفسير، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، ٧٢٨.
٧٥. مدارج السالكين لابن القيم، تحقيق، محمد حامد الفقي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ١٣٩٢هـ
٧٦. مسند أبي داود الطيالسي، سليمان بن داود الطيالسي، الناشر: دار المعرفة — بيروت
٧٧. مسند أبي يعلى أحمد بن علي بن المثنى أبو يعلى الموصلي التميمي، تحقيق: حسين سليم أسد، الناشر: دار المأمون للتراث دمشق الطبعة الأولى، ١٤٠٤

٧٨. مسند الإمام أحمد بن حنبل، أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني، المحقق: شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد، وآخرون، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ.
٧٩. مسند البزار المنشور باسم البحر الزخار، أبو بكر أحمد بن عمرو المعروف بالبزار، المحقق: مجموعة من الباحثين، الناشر: مكتبة العلوم والحكم – المدينة المنورة الطبعة: الأولى،
٨٠. المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية، أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، المحقق: (١٧) رسالة علمية قدمت لجامعة الإمام محمد بن سعود، تنسيق: د. سعد بن ناصر بن عبد العزيز الشثري، الناشر: دار العاصمة، دار الغيث — السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ
٨١. معجم اللغة العربية المعاصرة،، د. أحمد مختار عبد الحميد عمر، الناشر: عالم الكتب، الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ
٨٢. معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي، المحقق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ
٨٣. معجم مقاييس اللغة، المؤلف: أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا الرازي، المحقق: إبراهيم شمس الدين، الناشر: دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٣٢هـ
٨٤. المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب، أبو العباس أحمد بن يحيى الونشريسي، تحقيق: محمد حجي، الناشر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية للمملكة المغربية – ودار الغرب الإسلامي سنة: ١٤٠١
٨٥. مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، لابن القيم، دار الكتب العلمية، بيروت
٨٦. المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى، ٥٠٢، تحقيق محمد سيد كيلاني، دار المعرفة.
٨٧. مقالة التشبيه وموقف أهل السنة منها، جابر بن إدريس بن علي أمير، الناشر: أضواء السلف الطبعة: ١، سنة: ١٤٢٢

٨٨. المقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنى، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي، المحقق: بسام عبد الوهاب الجابي، الناشر: الجفان والجابي – قبرص، الطبعة: الأولى، ١٤٠٧
٨٩. المقصد الأعلى في تقريب أحاديث الحافظ أبي يعلى: الناشر: دار ابن حزم، بيروت تاريخ الإصدار١٤٢٢هـ
٩٠. الموافقات في أصول الفقه، الشاطبي، دار المعرفة – بيروت، تحقيق: عبد الله دراز
٩١. موسوعة الأخلاق الإسلامية، إعداد: مجموعة من الباحثين بإشراف الشيخ عَلوي بن عبد القادر السقاف، الناشر: موقع الدرر السنية على الإنترنت
٩٢. ميزان الاعتدال في نقد الرجال، المؤلف: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي، تحقيق: علي محمد البجاوي، الناشر: دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت لبنان، الطبعة: الأولى، ١٣٨٢ هـ
٩٣. الوابل الصيب من الكلم الطيب، لابن قيم الجوزية، تحقيق: سيد إبراهيم، الناشر: دار الحديث القاهرة، رقم الطبعة: الثالثة، ١٩٩٩ م

***